روايات  عالمية

THE HEART OF THE STORM

قلبُ العاصفة

٥٠ مليما

روايات عالمية

العدد رقم ٣٢٥

قلب العاصفة

تأليف داڤيد بيتى
ترجمة السيد وفائى

الجزء الأول

بداية ربع الدائرة
الجنوبى ـ الشرقى
١٥ اكتـــوبر

- ١ -

اهتزت جميع خرائط الرسم البيانى عن الطقس ؛ فى جميـــع انحاء العالم ، لتسجل سلسلة من الدوائر المتراكزة الدالة على مرور الاعصار ؛ الذى يطلق عليه ضباط الارصاد الجوية اسم « فيليـبتى» « اعصار الهنا » بالبحر الكاريبى . وكان يندفع فى طريقه هـادرا منذ ثلاثة ايام فى اتجاه كوبا وميامى . وكانت الظواهر تدل عـلى انه سيـسلك طريق الاعاصير السابقة الى الشاطىء الأمريكى ، ثم يعرج يمينا جنوبى نيو فوندلاند ، ولكنه اختفى فجأة ؛ ولم يظهر له اى اثر لمدة اسبوع .

وعلل المختصون ذلك بأن الاعصار قد قضى على نفسه بنفســه الا ان الاعصار لم يكن اقل حيوية مما كان حينئذ . وكل مافى الأمر انه بدلا من ان يتجه غربا ؛ انحرف فى الاتجاه المضاد صوب متسع الاطلنطى بعيدا عن الموانى والشواطىء لينسحب متسللا شـمالا بشرق الى شواطىء الآزور .

وبدات مساحات شاسعة من المحيط تحس بشـــدة وطأته ؟ وعصفت الرياح فى الجو مندفعة غاضبة ، واتخذ الاعصار سبيله في المحيط كمدمرة اطلقت العنان لسرعتها وقوة محركاتها .

وقد فاجا الاعصار الجميع بتغيير اتجاهه ، حتى ان الطـائرة « ايزى زيرا » التى كانت قد قطعت حينئذ منتصف الالفى ميل التى تفصل برمودا عن شواطىء الأزور ، بدات تتمايل وتهتز فجـاة قبل أن يتمكن ضباط الأرصاد على ظهرها من تبين السبب فى ذلك، عندما اكفهرت السماء فى الصباح وفاجأتهم العاصفة على حين غرة وكانت الطائرة ج ـ اهىز ، التابعة للخطوط الجوية البريطانية ؟ تطير على ارتفاع ١٩٠٠٠ قدم فى طريقهـا من برمودا الى الأزور ؟ عندما تبين احد اللاحين المدعو باتس من اجهزة التسجيل امامه ـ ان الرياح تتجه شمالا بشرق ـ فتأمل ما امامه مرة أخـــرى غير مصدق لما يراه ، معيدا فحص مؤشرات التسجيل ،متبادلا الحديث مع مارك كيلستون ، الجالس فى مقعد القيادة وقد استدار له هذا وفى عينيه وميض متفكه قائلا :

ـ ماذا بك (. اهى مسز باتس من يشغل بها بالك ؟ .

فنظر الملاح لقائده مبتسما ، لأنه ادرك مايعنيه الكابتن بقـوله هذا . فقد كانوا يطلقون على الجهاز الذى يتعهده باتس ، فى هذا الفرع من خطوط الطيران البريطانية التى تعبر الأطلنطى ، بين باناما ولندن مارة بجامايكا وبرمودا ، والأزور ولشبونة ومدريد ، اســم مسـز باتس . اذكان هذا الجهاز هو كل مايستطيع أن يراه من مكانه، ولكم قضى الساعات الطوال يتأمله محدقا النظر فيه . وكان فى هذه المرحلة بالذات ، قد اختلف فى الراى مع مهندس الطائرة ، هوكنز حول قوة احتمال محرك من محركات الطائرة ، فاجاب بقوله :

ـ كلا ياسيدى ، ان مسـز باتس بخير .

وكان كيلستون محدقا النظر فى الافق أمامه ، حيث راى سحابة سوداء كبيرة تغطى صفحة السماء وتبدل زرقتها سوادا . وما ان

ازداد بطائرته قربا منها ، حتى لاحظ وجود تجمعات من السحب تمتد فى كل اتجاه . وتبين من وضع هـذه السحب أنها ليست عرضا جويا طارئا لامعقبات له ، بل توقع انها من الظواهر التى لم يكن يراها الا نادرا .

وانتظر حتى انتهى الملاح من مراجعة ما امامه من اجهزة ، ثم سأله قائلا :

ـ هل تستبين مما امامك مايدل على ان هناك رياحا قوية تهب من الشمال الشرقى ؟ .

فلمعت عينا باتس دهشة وهو يقول :

ـ تماما ياسيدى . هذا هو عين الصواب ، هو ذاك فعلا .

فسأله الكابتن :

ـ هل رايت السحب فى الجانب الأيمن ؟ .

ـ كلا ياسيدى .

ـ اذن ، تعال لترى بنفسك ؟ .

وترك باتس مقصورة الملاحة ، وصعد الى قمرة الطيار ، مارا بهوكنز الذى كان مشغولا بتسجيل سرعة الطائرة ، كما شاهد درابر ضابط اللاسلكى ، يبعث الى مطار سان ميجويل بالمعلومات الأخيرة عن موقع الطائرة .

اما الضابط الاول فكان نائما فى ساعات راحته ، بناء على ماكان يراه كيلستون ، من حاجة ضابطه الأول للراحة بعد الساعات الاولى من الانطلاق بالطائرة . وقد سمع باتس ، قائد الطائرة يقـول لـه :

ـ حذار ان توقظ مستر شوجنيسى من نومه ـ وكانت فى صوت كيلستون رنة حنق وسخط . فقد كان مستر شوجنيسى حديث العهد بالخدمة ، واحد هؤلاء الضباط الشبان الذين الحقوا

اخيرا بالشركة ، ان مستر شوجنيسى بحاجة الى كل دقيقة من النـوم .

وابتسم باتس مؤمنا على ملاحظة القائد ، ثم اتجه بنظره الى اليمين من خلال نوافذ القمرة . وما ان وقع بصره على ما وقع عليه ، حتى غاضت الابتسامة من وجهه وصاح قائلا :

ـ يا الهى !.

فقد راى على بعد بضعة اميال من الطائرة ، كسفا من السحب البيضاء تطفو عالية فى الجو ، ثم تبين ان السحب قد ازدادت كثافة فى اتجاه الجنوب . وراى باتس من ذلك الخطوط الأولى لعاصفة هوجاء . فعلق على هذا قائلا :

ـ لم يسبق لى ان رأيتها قد بلغت هذا الارتفاع .

ـ بلى . انها على ارتفاع ٣٠,٠٠٠ قدم تقريبا ، لقد كانت اول ما وقع نظرى عليه عندما ناديتك .

وكان الطائرة قد شعرت بما ينتظرها ، فاهتزت اجنحتها وزارت محركاتها ـ وكان فى ذلك ما يكفى لايقاظ شو جنيسى من نومه ففتح عينيه محاولا ان يطرد عنهما سلطان الكرى ، ودار بهما فيما حوله وهو لا يدرى من امر نفسه شيئا . واخيرا وقع نظره على السحب المتجمعة ، دلائل جو سيء .

ـ ياسيدى القائد .

قالها وكانه يقرا من كتاب مفتوح امامه ، به بعض النصوص التى ينقلها لغيره دون ان يعنيه منها شيئا .

فقال له باتس وهو يربت على ظهره :

ـ كيف تاتى لك ان تتبين ذلك ؟. انك لجدير بان يعهد اليك بعملية الارصاد الجوية فى هذه الايام .

وحاول باتس ان يتخذ لنفسه من سمات الجد ، وهو يقول ذلك ، ما يقنع شو جنيسى بانه لا يهزا به .

ولاحظ كيلستون أن وجه الشاب قد احمر خجلا فقال له ليسرى عنه :

ـ لاعليك ، انه لم يدرك شيئا من ذلك الا بعد ان نبهته انا اليه لم اتبع قوله هذا باصدار بعض الاوامر لباتس ، بما يناسب حالة الجو الجديدة .

وعاد باتس الى اجهزته وخرائطه ومقاييس ارصاده ، يدرسها ليخرج منها بعرض صحيح لما يمرون به وما ينتظرهم .. وجلس مستغرقا فيما أمامه . وهنا سمع شو جنيسى يقول للكابتن مترددا:

ـ قد يؤخرنا هذا الجو عن مواعيدنا ياسيدى .

وهذا ماسيكون فعلا . ان اتجاه الرياح سيتغير كلية . لقد احسنا صنعا بمغادرة برمودا فى الوقت المحدد لنا .

ـ ألم تجازف بذلك ياسيدى ؟.

ـ كلا . ان مايقابلنا الآن هو من الظواهر الجوية المفاجئة . ولو كنا قد تنبأنا بها ، لكنا أعددنا العدة لمواجهتها .

ـ أما من سبيل لتفادى هذه العاصفة بسلوك طريق دائرى؟.

ـ ليس لدينا من الوقود مايكفى للقيام بهذه المحاولة .

وتأمل الضابط الأول الطقس فى الخارج وادرك لتوه مدى شدة هذه العاصفة . كما أدرك انها ستكون جزءا من مستقبل حياته فسرت القشعريرة فى بدنه وتمتم قائلا :

قد تزداد الأمور سوءا .. انها عاصفة هوجاء ، لم يحسب لها حساب .

فرفع كيلستون كتفيه فى غير اكتراث وقال :

ـ يجب ان نتوقع مثل تلك المفاجئات فى عملنا هذا .

ثم مال الى الأمام وراح يتأمل حبات الصقيع على الزجاج ،وهى تتكاثر وتتبلور . ونادى قائلا :

ـ مستر هوكنز . عليك بمراقبة الوقود واتخاذ مايلزم لعدم تجمد الصقيع عند المخارج . ثم طلب من مستر باتس أن يخبر المضيف بتعهد الركاب والعناية بامرهم .

وبتلك الاوامر والاستعدادات ، كان كيلستون يعد الطائرة « ايزى زيرا » لمواجهة العاصفة . وكان يلقى بنظرة من وقت لآخر على جناحى الطائرة . ليطمئن على عدم تراكم الثلوج عليهما ، الأمر الذى من شأنه لوحدث ، أن يزيد من ثقل الطائرة ، ويعرقل قوة اندفاعها .

وبعد أن انتهى باتس من تحديد موقع الطائرة واتجاه الرياح، وقف عند باب كابينة القائد ، يتأمل كتفيه الثابتتين ، معجبا باتزانه مقارنا بينه وبين غيره من قواد الطائرات وماكانوا يفعلونه فى مثل هذه الظروف واستعاد ماكانوا يسببونه من قلق لمن يعمل معهم ويقيمونه من ضجة وانفعال . أما مع كليستون ، فكان الهدوء والثبات . وما كان مثل هذا الجو ليحرك منه ساكنا باكثر مايحرك منه الجو الهادىء الساكن المثالى . ولذلك أطلق عليه كل من عمل معه من مساعدين ، اسم « الرجل الحديدى » ، لثباته واتزانه ، ولصرامته مع كل من يعمل معه . ولهذا السبب بالذات ، كان بعض الضباط يعزف عن العمل معه .

واندفع كليستون بطائرته يخترق العاصفة ويقاوم الاعصار الذى كان يفوق فى شدته وفى سرعته ، تلك المحركات التى يتحكم فيها ربان الطائرة البطل . وكان يتركها احيانا لتهوى به بين طبقات السحب ، وكأنها جواد برى مستجبر مارق عنيد .

ونادى باتس من مقصورة الملاحة صائحا :

ـ ارتفع بها حتى تجتاز أعلى السحب ، بكل ماتستطيعه طائرات « مارلبورو » البريطانية .

وبيد ثابتة امسك كيلستون بعمود الارتفاع وجذبه لتستقيم الطائرة صعودا حتى كادت أن تنقلب على ظهرها ، لولا تداركه الامر

فى آخر لحظة ، ثم استفسر من مستر شو جنيسى ، عما اذا كان هناك ثلوج متراكمة على الجناح الذى الى جانبه ، فأجابه بالنفى ، الا ان المحرك رقم ٢ بدأ يحدث أصواتا حدت بكيلستون ان يستفسر من هوكنز عن مصدرها . فأجابه هذا بأن السبب فى ذلك هو تجمد الثلوج عند مخارج « الكاربوريتر » نتيجة للارتفاع الذى انتقلت اليه الطائرة فجأة . واصدر القائد أوامره الى كل من باتس وهوكنز بالعمل على تلافى هذا الأمر بكل الوسائل الممكنة .

وكانت الطائرة فى هذا الوقت ، قد دخلت بيت العنكبوت كما يقولون ، أى انها اصبحت فى مكتنف من دوامات الاعصار الضخمة القوية الاندفاع . ومع ذلك فقد كانت « ايزى زيرا » مندفعة فى طريقها لاتلوى على شىء ، غير عابئة بتلك الايدى الممتدة اليها من العاصفة ، تريد ان تمسك بها وكانت تمرق منها وتهرب من قبضتها هازئة بها .

وليس من شك فى ان التنقل داخل الطائرة كان امرا مستحيلا . واجل المضيف تقديم طعام الغداء . وشعر معظم ركاب الطائرة الستة عشر بوعكة من اثر الحركة العنيفة .

وكان من بين المسافرين مستر باركنسون ، احد الشخصيات الهامة والعضو فى عدة هيئات سياسية . « وقد أوصى به كيلستون خيرا ، وطلبت الشركة من قائد الطائرة أن يعمل على راحته » . وقد جلس هذا قابعا فى مقعده يقاسى مما الم به فى صورة مزرية .

ولكن كل هذا لم يكن بشىء . فقد استطاعت « ايزى زيرا » أن تشق طريقها وسط العاصفة بسرعة تجاوزت ١٦٠ ميلا فى الساعة وعلى مرمى البصر فى الناحية الشرقية من سطح الاطلنطى ، كانت هناك باخرة شاء لها حظها التعس أن تقع فى قبضة العاصفة ، لتندفع حيث يوجهها الاعصار العاتى . وكانت هذه الباخرة البرتغالية تدعى « سانتا لوشندا » .

وكان ضابط اللاسلكى « درابر» يتابع من مكانه اشارات الاستغاثة التى بلغت اذنيه غامضة فى أول الأمر . وبعد ان تبينها استدار لكيلستون قائلا :

ـ ان بعضهم يستغيث بنا .

وكان الكابتن مركزا انتباهه فيما امامه من آلات فلم يسرع بالرد على درابر . وبعد قليل سمعه هذا يسأله :

ـ اسفينة هى ؟ .

ـ أجل ، باخرة تدعى سانتا لوشندا .

ولم يدر بخلد درابر ان الأمر يعنيهم فى كثير او فى قليل .. ان الاشارات التى التقطها اشارات موجهة الى ماعساه يكون فى هذه المنطقة من سفن اخرى او دوريات انقاذ بحرية أو جوية . اما طائرتهم فهى فى خط سيرها العادى . وهى فى هذه الظروف بالذات فلم يكن بوسعها عمل شىء ولكنه سمع كيلستون يقطع عليه حبل تصوراته قائلا :

ـ هل تبينت موضعها ؟ .

ـ اجل . . لقد حددت مكانها .

ـ اذن فلتبلغ به باتس ، اريد ان اعرف كم تبعد هذه الباخرة هنا ؟ .

فاجابه درابر وفى صوته ما ينبىء عن ان ذلك ليس من اختصاصهم .

ـ ان قاطرتين من سفن الانقاذ قد غادرتا بونتادلجادا فعلا .

ـ سيان عندى ذلك ، اصدع بما امرت .

وصدع درابر بما أمر به فعلا ، وتبادل المعلومات مع باتس الذى صاح قائلا :

ـ انها تبعد ثلاثين ميلا جنوبى طائرتنا يا سيدى القائد .. وهى لا تبعد عن ميناء سان ميجويل باكثر من عشرين ميلا .. وامامنا ثلاث ساعات من الطيران المتواصل اذا استمر هبوب هذه الرياح العاتية .

شكرا يا باتس .

وحاول باتس ان يستشف شيئا مما تختلج به نفس قائده ، ولكنه لم يستطع الى ذلك سبيلا ، ورأى اخيرا ان يتم معلوماته قائلا :

ستتأخر ساعة من موعد وصولنا .

توقعت شيئا من هذا القبيل .

وتبادل معه كل من باتس ودرابر بعض الملاحظات . ولكنه ضرب صفحا عنها قائلا لهوكنز :

ـ اريد تقريرا دقيقا عن حالة الوقود يامستر هوكنز .

وكان الضابط الاول ، شوجنيسى ، قد تعلق بصره فى هذا الوقت بالجناح القريب منه ، عندما لاحظ تراكم حبات الجليد عليه ولم يجد بدا من اخطار قائده بذلك فى صوت حاول ان يسيطر على نبراته حتى لا يكشف عن شدة قلقه . فساله كيلستون قائلا :

ـ كم يبلغ سمكها ؟.

ـ حوالى البوصة .. ولكنها تتزايد بسرعة .

ونهض هوكنز عن مقعده عندما سمع هذا الحديث . ان شيئا ما يجب ان يتم على وجه السرعة . فسال الكابتن .

ـ هل ستواصل الارتفاع ؟.

ـ كلا .. بل سنهبط بها قليلا .. مستر درابر ، اخطر برج المراقبة اننا سنهبط الى ارتفاع ١١٠٠٠ قدم فقط ، ثم استدار الى هوكنز يساله عن حالة الوقود ، فاجابه بانه كاد ينتهى من ذلك .

وعندئذ امتدت يد درابر تدفع هوكنز من طريقه الى مقعدى الطيارين .. فتنحى هذا جانبا وساله فى دهشة :

ـ ماذا دهاك ؟ . فيم هذه العجلة ؟ .

فصاح درابر :

ـ اشارة عاجلة .. لم تتمكن القاطرتان من الاهتداء الى مكان الباخرة . برج المراقبة يستفسر : هل لدينا مايكفى من وقود للمساعدة ؟ .

ولم يكن درابر ليقر هذا الطلب بحال ما .

وكان رد كيلستون الذى اذهل الجميع :

ـ قل لهم نعم . واطلب من برج المراقبة ان يخلى لنا طريق الهبوط .

- ٢ -

وكان كليستون يدرك ان ماطلب اليه ليس مما يجرى دائما .. حقيقة انه كثيرا ماكان يطلب الى الطائرات أن تحدد فى طريقها مكان وجود السفن التى تمر بمحنة ما ، ولكنه لم يكن يطلب اكثر من هذا وانه ليعلم كقائد لهذه الطائرة ، انه مسئول عن ارواح ٢٣ راكبا معه . وهو يعرف ايضا انه قد قرر البحث عن هذه الباخرة . ولكن كيف يتأتى له ذلك فى حدود مسئوليته التى يضطلع بها ؟ .

وبدا يوزع انتباهه بين قيادة الطائرة فى هذه الظروف العصيبة وبين وضع الخطة لما استجد امامه من صعوبات بتقريره الاندفاع لاغاثة هذه السفينة المنكوبة فى محنتها .

وكان يدرك ان هذه المهمة لم تكن بالسهلة الميسرة ، كما يعلم ان عليه فى هبوطه حتى يجتاز سحب العاصفة ، ان يتفادى قمم

جبال جزر الآزور العالية التى يبلغ ارتفاع بعضها اكثر من ثمانية آلاف قدم فوق سطح البحر .

وبعد قليل طلب كيلستون من ضابط الطائرة الأول ، شوجنيسي أن يتولى القيادة بدلا عنه ، لانه كان يريد ان يتبادل الراى مع باتس ويتخذ اللازم لاخطار المسافرين بحقيقة الموقف .

وجلس قليلا يراقب شو جنيسى فى قيادته للطائرة ، وما ان اطمان الى ذلك وأصدر اليه بعض التعليمات بشان المحافظة على ارتفاع معين يضمن لهم عدم التعرض لقمم الجبال العالية ، حتى نهض عن مقعده بقامته المديدة واتجه الى مقصورة الملاحة حيث وجد باتس جالسا وقد تعلق نظره بمقياس السرعة ومؤشرات الارتفاع فقال له :

ـ اعتقد اننا سنصل الى مطار سانتا انا فى حوالى خمس وتسعين دقيقة اليس كذلك ؟ .

ـ تماما ياسيدى .

ـ واعتقد ان حركة الرياح هناك ستكون اقل حدة ، مما ييسر لنا سبل البحث عن الباخرة .

ـ ارجو ذلك ياسيدى .

ـ لقد غيرنا خط سيرنا وكان يجب علينا ان نفعل هذا . ان هناك اخوانا لنا فى هذه السفينة التى تتلقفها امواج البحر الذى لايرحم ! .

ولم يعقب باتس بشىء .

واستطرد كيلستون قائلا :

ـ ان الباخرة على بعد عشرين ميلا فقط من بونتاد لجادا وعلينا فى الوقت نفسه ان نتفادى الجبال . ولذلك فاننا نطير على ارتفاع ١٠,٠٠٠ قدم ـ فاذا ماتجاوزنا قمة بيكو ، نسرع بالهبوط الى البحر .

ـ ان هذا سيؤخر وصولنا .

ـ وماذا يقلقك ؟

ـ لاشيء .. لاشيء .

ـ ارجو ان اسمع هذا من مقصورة الركاب ، لايوجد ما يدعو للقلق والانزعاج .

قال هذا وان كان في قرارة نفسه لم يكن ينتظر منهم ذلك لانه يعرف ان بعض المسافرين يتهيب السفر بالطائرات في الظروف العادية ، فما بالك بهذه الظروف القاسية العصيبة التى يمرون بها . انها كفيلة بأن تجعل هذا البعض كلا !!.

ودلف الى مقصورة الركاب محاولا أن يحافظ على توازنه . ثم وقف يتفرس في وجوههم صفا صفا . وحاول في ايجاز ان يشرح لهم حقيقة الموقف وما يعتزم ان يقوم به . واحاطهم علما بامر السفينة التى تجتاز وقتا عصيبا دون ان يهتدى الى مكانها أحد . كما اخبرهم ان البحث عن مكان هذه السفينة ، سيقتضى منهم ساعة اخرى في هذا الجو العاصف ، علاوة على ماتاخروا .

فسألته احدى السيدات :

ـ هل سيصادفنا نفس الجو السيء ياكابتن ؟.

فاجابها :

ـ بانه قد يكون اسوأ .. ثم اردف قائلا ، بعد ان شعر بجو من عدم الرضا بين الركاب :

ـ ما اظن الا انكم جميعا تريدون منا ان نبذل اقصى مافى وسعنا لمساعدة هذه السفينة ، اليس كذلك ؟.

وران الصمت على جميع المسافرين . ثم انبرى من بينهم رجل مدبب اللحية وكانه وكل بالحديث نيابة عن جميع الحاضرين .

ـ بكل تأكيد يا كابتن ـ فلتفعل مابدا لك . اننـا معـك قلبا وقالبـا .

أما مستر باركنسيون ، صاحب الشخصية المرموقة ، فلم يتفوه بشىء . وكان مغمض العينين ، متعبا مجهدا . بل وخيل لكليستون انه لم يسمع شيئا مما قاله :

وعاد كليستون أدراجه . وكانت الرياح قداشتدت هبوبا وعصفا ووجد ان باتس يحـاول السيطرة على ماامامه من آلات ومؤشرات دون جـدوى .

وبعد حوالى عشر دقائق . وبعد أن راجع كليستون ما امامه من مؤشرات ، اتجه بعزيمة صادقة للهبوط متحديا قلب الاعصار غير هياب لما كانت تهدر به الرياح محتجة ساخطة . واستمر فى هبوطه حتى اصبح على ارتفاع ٣٠٠٠ قدم من سطح البحر . فاعتدل بطائرته ، وبدا يشعر ببعض الراحة بعد ان لاحظ ان جناحى الطائرة قد تخلصا من حملهما الثلجى ، بعد تخلل طبقات الجو الأكثر دفئا . ثم سمع شو جنيـى يسأله قائلا :

ـ الى اى مدى سنواصل الهبوط بعد ذلك ياسيدى ؟.

ـ حتى تقع بصرنا على شىء ما .

ومرة اخرى واصل كيلستون هبوطه حتى أصبح على ارتفاع الف قدم فقط . وبدات السحب تتمزق وتخفف من كثافتها . وما ان اصبح على ارتفاع ٦٠٠ قدم حتى راى سطح البحر .

وتابعت الطائرة مسارها والبحر من تحتها والسحاب من فوقها ملاطمة الهواء ، بعزيمة قائدها . وكانت تهبط وترتفع فى وهـاد مطباته . حتى لتكاد احيانا ان تلمس سطح الماء . واستطاع كليستون اخيرا ان يتبين طريقه ويستدير بطائرته فى اتجاه سان ميجويل قائلا لدرابر .

ـ حاول أن تتصل بالباخرة .

- ساحاول ذلك ياسيدى . ان الاحوال الجوية فى غاية السوء ولم تستطع القاطرتان الاتصال بها على الاطلاق .

ومرت بهم نصف ساعة - لم يروا فيها غير كسف من السحب وستار من الأمطار ، ولجة من الأمواج المتدافعة . وشعر كيلستون بالاجهاد وقد كلت يداه وهو يصارع بهما وجهات القيادة بها هدير العاصفة . واخيرا سمع صوت باتس يناديه قائلا :

- اننا نجتاز المنطقة الآن . . على بعد ثمانين درجة من سانتاانا .

- معلومات لابأس بها . واندفع كيلستون بطائرته فى خطوط متعرجة مستديرا بها احيانا من دقيقة الى اخرى ، دورات كاملة . لعله يرى ما يدله على مكان السفينة الهائمة .

- الم تتمكن من الاتصال بعد بالسفينة يادرابر ؟ .

- اننى أستطيع ان اسمع الاشارات الصادرة منها ضعيفة غير واضحة . يلوح لى ان جهاز الارسال بها ضعيف جدا .

وهنا صاح باتس قائلا :

- دورة اخرى ياكابتن .

فعلق هوكنز على هذا مذكرا قائده :

- لم يعد لدينا من الوقود ما يكفى لأكثر من ساعة او اقل .

ولم يبد على كيلستون انه بدا يستوعب هذه المعلومات التى كانت تطرق اذنيه من كل ناحية . ولكنه مع ذلك كان يلتقطها ويقلبها فى ذهنه محاولا ان يربط بينها جميعا ، بينما كان يستدير بطائرته الى اليسار بانحراف بلغ ربع دائرة عريضة .

وتساءل شوجنيسى :

- اعتقد انهم سيطلقون بعض السهام النارية .

فأجابه كيلستون :

ـ هذا مايجب ان يكون فعلا . لو تبقى لهم منها شيء .. وقد لم صوته عما بدأ يعتمل فى صدره من برم وضيق .

وارتفع صوت درابر قائلا :

ـ اعدنا الاتصال بهم مرة اخـــرى . مؤشر الموجة انخفض الى اربعين درجة .

فطلب الكابتن من باتس تحديد موقع الباخرة على اســـاس هذه المعلومات . واجابه هذا بأن الباخرة يجب ان تكون علـى بعد ثمانية أميال ناحية الشمال الشرقى منهم .

ـ اذن فسأستدير بالطائرة فى هذا الاتجاه .

واندفع كيلستون فى اتجاهه الجديد لايلوى على شيء .. وقال وهو يحدق النظر فى البحر .

ـ يجب ان تكون فى مكان ما من هذه المنطقة ـ ولكنه كان يعلم فى الوقت نفسه ، ان الأمواج العالية يمكن ان تخفى بين طياتها مثل هذه الباخرة الصغيرة ـ وتجعل منها العوبة بين قمم زبدها الــذى يكسوها بياضا .

وواصل كيلستون بحثه ، ولم ينقطع عن الدوران ، يمينا ويسـارا ، مقتربا من سطح البحر بقدر ماوسعه ذلك ، فى هذا الجو الممطـر العاصف المكفهر .. وفجأة ، وتحت مقدمة الطائرة مباشرة لمـــح كيلستون ماأكد له انها السفينة المنشــودة .. فقال لباتس :

ـ ابرق بموضعها لبرج المراقبة . وقل لهم اننا نحوم حـــول مكانها . واسالهم ان يحددوا لك مكان القاطرتين .

وظل يحوم بطائرته حول البقعة التى شاهد بها الباخرة محاولا الا تغيب عن مرمى بصره . وكان يرى سانتا لوشندا ، بين الفينة والأخرى ، ترتفع وتهبط كدمية صغيرة تتلقفها الامواج ، وشـعر كيلستون بالمرارة لعدم استطاعته القيام بشيء أكثر من أن يـراقب هذه السـفينة فى محنتها عن بعد دون ان يمد لها يدا تنتشلها مما هى فيه .

وسرى عنه آخيرا عندما أخبره درابر بان مكان السفينة قد تحدد القاطرتين . وان برج المراقبة قرر بان القاطرتين تبعدان عن مكان السفينة بحوالى عشرة اميال شمالا . وما ان انتهى درابر من سرد معلوماته هذه ، حتى قرر كيلستون ان يتجه شمالا بطائرته للتأكد من ذلك .

وبعد بضع دقائق ، استطاعت « ايزى زيرا » ان تحلق فوق القاطرتين . واتجه كيلستون بمقدم طائرته صوب مكان الباخرة سانتالوشندا ، مقتربا من القاطرتين بقدر ماوسعه ذلك ، وكرر هذه الحركة عدة مرات حتى اطمأن اخيرا الى تحرك القاطرتين صوب الهدف المنشود .

وكانت الدقائق تمر فى تقدير الزمن وكأنها الساعات الطوال. وبدأت طلائع الظلام تبدو من ثنايا العاصفة . وكان عليهم بعد هذا ان يطيروا الى سانتا انا حيث يهبطون فى مطارها . ولم يبد على كيلستون مايدل على قلقه او انزعاجه ، وانطلق راضيا عن نفسه بعد ان القى نظرة اخيرة على الباخرة .

ولكن رضاءه لم يكن رضاء كاملا ، اذ انه كان يشعر فى قرارة نفسه بانه لم يؤد الا نصف واجبه . فقد كان يوده لو استطاع أن يبقى حتى يتم انقاذ الباخرة نهائيا او انقاذ من عليها من رجال على الاقل .

ولما اصبح على مشارف المطار : تلقى من برج المراقبة مايحدد له اتجاه الرياح وامكان الرؤية وممر الهبوط . ولاحظ الضابط الأول تجهم وجه قائده لأول مرة . الا انه لم يسمع منه شيئا . تفسيرا لهذا التجهم .

وركز كيلستون كل تفكيره فى التحكم فيما بين يديه وامامه من آلات ، وتبادل مع شوجنيسى بعض ملاحظات الهبوط . واتجه بطائرته نحو الممر المحدد له . وفى حنكة المجرب الواثق من نفسه ، تمكن اخيرا من الهبوط سالما « بايزى زيرا » ، واستقر بها على ارض المطار

بين اعجاب كل العاملين معه ، هذا الاعجاب الذى عبر عنه هوكنز مشيدا بثبات قائدهم وجراته . واجابه كيلستون ردا على هذا بان يقوم بما يلزم من فحص للطائرة كما يجرى العمل بذلك وتركه منصرفا .

***

كان مستر دادلى ، مدير مكتب خطوط الامبراطورية البريطانية بمطار سانتا انا ، لاعبا ممتازا من لاعبى الشطرنج فى بونتا دلجادا ، حتى انه انتخب رئيسا لنادى الشطرنج بها فى شهر يوليو من ذاك العام . وتغلغلت هذه الهواية فى نفسه ، حتى أصبح يرى فى الحياة وفى الناس مجرد رقعة للشطرنج يتحركون عليها . وكان منوطا به ، بحكم عمله ، مراقبة الخدمة فى اربعة من خطوط الشركة كل أسبوع ، فى ذهابها وايابها ، بواقع خطين فى كل اتجاه من والى انجلترا . وكان على هذه الطائرات ان تتوقف بجزر الآزور لمدة ١٤ ساعة ، حيث ينال ركابها وملاحوها قسطهم من الراحة فى فندقى كاسل وكاربراس على التوالى .

وكان مستر دادلى برما بهذه المحطة الليلة غير راض عنها . ولذلك كان يسعى للتخلص من هذه المأمورية باسرع ما يمكن . فما ان اقبلت الطائرة « ايزى زيرا » وهبط منها ركابها ، حتى وجد نفسه امام احدى تلك المضايقات التى كان يسعى جاهدا ان يتحاشاها ويتخلص منها . حيث أقبل عليه مستر باركنسون الذى كان يعرف شخصيته خير المعرفة ساخطا متذمرا مرددا :

ـ لاراحة . . ولا امان . . ولا عناية .

وفى لباقة تخلص دادلى من الاجابة وهو يومىء الى ناحية كيلستون قائلا :

ـ ساطلب من قائد الطائرة ان يشرح لك الأمر .

ولكن كيلستون بادر دادلى مستفسرا :

ـ هل تمكنت القاطرتان من الاهتداء اليها ؟

ـ لم نتلق اى نبأ بعد بهذا الشأن .. ولكن هناك امرا آخر يستدعى اهتمامك . مستر باركستون متذمر . متذمر ساخط ياكابتن .

ـ لعله متعب ـ بعد ان ينال قسطه من الراحة سيشعر بتحسن فى الصباح .

ـ لعل كلمة منك ...

فاتجه كيلستون ناحية باركستون . عندما لاحظ ان الرجل قد فقد اعصابه من شدة ماعاناه ، وقال له :

ـ يؤسفنى ماتعرضت له فى رحلتك ياسيدى .

ولكن الرجل لم يكن مستعدا أن يهدأ . بل اشتد هياجا وهو يتهدد كيلستون بالويل والثبور ، ويصارحه بأنه لايصلح طيارا ـ وتأمله كيلستون محنقا . ولاحظ أن الرجل الذى كان قد تطوع بالرد عليه عندما احاطهم علما وهم فى الطائرة بموضوع ساتنا لوشندا ، يومىء اليه أن يقترب منه .. فلما صار على مقربة منه ، سمعه يهمس فى اذنه قائلا :

ـ لاعليك .. سأحاول أن اهدىء روعه .

ـ شكرا .

ـ انهم لايستطيعون ان يفهموا ماقمت به . أما انا فأقدر عملك خير تقدير ، لأننى ضابط بحرى .

ـ من العسير عليهم أن يفهموا ذلك فعلا .

- ٣ -

اتجه كيلستون الى الدهليز الطويل بالطابق الاول لفندق كاربراس ، يتبعه احد الخدم حاملا حقيبة ملابسه . وما ان بلغ باب حجرته فى الطرف الآخر منه ـ حتى دفعه متعجلا ان يلوذ بهدوء كان يتوق اليه بعد كل ماعاناه من جهد وعاش فيه من صخب وقلق .

وكان كيلستون متعبا مجهدا وبدا يحس بالالم فى ذراعيه ؟ بعد كل مابذله من جهد للتحكم فى عصى القيادة فى صراعه مع العاصفة الهوجاء . فجلس على حافة فراشه يخلع ملابسه على مهل بينما كان مستغرقا بفكره فى سانتا لوشندا . هل كان بوسعه أن يقوم باكثر مما قام به لاغاثتها ؟ اذ انه لم يزايل فكره خاطر انه لم يستطع ان ينتظر حتى يطمئن على مصيرها .

وراح يستعرض ماكان بوسعه ان يفعله مع نقص كمية الوقود التى كانت بالطائرة . ثم عاد ليراجع نفسه بأنه كان يستطيع ان يتريث بضع دقائق أخرى . وضاعف هدير الرياح الذى كان يصل الى سمعه من الخارج ، من قسوته فى محاسبة نفسه ، ومن شعوره بأنه بينما كان يجلس آمنا فى دعة ، كان هناك من الرجال من يقاسى من هول العاصفة وتتعرض حياته للخطر .

ونهض الى الماء الساخن يسترخى فيه . ويخلى بينه وبين افكاره المتزاحمة . وبعد ان اغتسل وازال مابه من وعثاء السفر ، استعاد نشاطه وارتدى ملابس النوم ليهجع ساعتين قبل ان تحل ساعة العشاء .. وما ان استلقى على فراشه حتى استغرق فى النوم واستسلم لسبات عميق .

ولم يستيقظ من نومه الا بعد الساعة العاشرة . وما ان تامل ساعته حتى ادرك انه قد تجاوز الموعد المحدد للعشاء . فنهض ساخطا وارتدى حلة رمادية اللون ، ثم هبط الدرج ليجد قاعة الطعام قد اغلقت ابوابها . ووجد باتس فى « البار » يتناول كأسا من الخمر فلما رحب به ودعاه الى مشاركته الشراب ، اعتذر له بانه لم يتناول عشاءه بعد .

وكان على وشك ان يستفسر من باتس عن آخر أنباء الباخرة ، عندما اقبل رئيس الخدم قائلا :

ـ كابتن كيلستون . لم نرك فى ساعة العشاء ؟ .

ـ نعم ..

فأشار الرجل الى قاعة الطعام ، سائلا اياه ان يتبعه . فاعتذر له كيلستون قائلا :

ـ لاتشغل نفسك بأمرى ، لانني تخلفت فعلا عن حضور العشاء والمقصر لايلومن الا نفسه .

ـ لاضير من ذلك .. لاباس ، هلا تبعتني ؟.

وتقدم رئيس الخدم الكابتن كيلستون الى قاعة الطعام وفتح له ما أغلق من ابواب : ووجد كيلستون نفسه جالسا الى مائدة اعدت له . وتلفت حواليه فلم يجد احدا غيره بقاعة الطعام . ولما كان لم يألف من قبل مثل هذه المعاملة الممتازة ، بدأ يتساءل عن السر في ذلك .

وقام رئيس الخدم على خدمته بنفسه يساعده في هذا اثنان آخران . وحملوا اليه مع الوان الطعام المختلفة . زجاجة من شراب ماديرا « مع تحيات الادارة » . وضاعف ذلك من عجبه ودهشته . وبينما كان يتساءل فيما بينه وبين نفسه عن السر في كل تلك المظاهر سمع رئيس الخدم يقول له .

ـ لقد اتصل بنا مستر اوليفاريز تليفونيا ، وسأل عنك .

ـ اوليفاريز !. ومن يكون ؟.

ـ صاحب السفينة . اوليفاريز هو مالك سانتالوسندا

ـ هل لديك انباء عنها ؟.

ـ بكل تأكيد . لقد اهتدت اليها القاطرتان .

فاحس كيلستون براحة نفسية طاغية . وسمع رئيس الخدم يستطرد قائلا :

ـ ان لى اخا على ظهر السفينة .. اخي الاصغر بدرو وهذا مشيرا الى أحد الخدم ، له ابن عم على ظهرها .

ـ انها اسرة كاملة .

ـ نحن البرتغاليين كثيرو العـدد . ان كلا منا هنـا فى بونتا دلجادا له قريب على ظهر سانتا لوشندا .

ورفع كيلستون كأسه ليشغل نفسه عن العيون التى تحدق فيه باعجاب . ثم قال اخيرا :

ـ شكرا لأنكم هيأتم لى تناول طعام عشائى متاخرا . الحلوى يا سيدى : قليل من الفاكهة : شـكرا . . كلا . ساتناول قدحا من القهوة فى الردهة .

هل ستتصل تليفونيا بمستر أوليفاريز ؟.

ـ اجل . . ونهض عن مقعده منصرفا بين تحيات الخدم الذين انحنوا اليه تقديرا وشكرا .

وقوبل عند مكتب الاستقبال بنفس ما قـوبل به من اهتمام وعناية . واصر الموظف المختص على ان يهيىء له سبيل الاتصـال بمستر اوليفاريز . وبعد أن تم الاتصـال ؛ قدم الموظف التليفون لمستر كيلسـتون الذى سمع صوتا يحييه قائلا :

اننا ندين لك بالكثير يا كابتن . لعلك سمعت بأنها فى طريقها الى الشـاطىء ؟.

ـ نعم سمعت بذلك ؟.

ـ كنت اتسـاءل عما اذا كان من الممـكن ان تحضر لتشـاهـد دخولها الميناء .

ـ بكل سرور ، متى سيكون ذلك ؟.

ـ هذا راجع الى حالة الطقس . ان رجال الارصاد .

ثم اندفع اوليفاريز يتحدث باللغة البرتغالية فى لهجة تنم عن العنف ؛ وعاد مستطردا بالانجليزية على كل حال ، فهـم يظنون ان مركز العاصفة سيكون فوق الجزيرة بعد ساعة . مما يعنى انهم قد يسـتطيعون ان يدخلوا بها الى المينـاء فى فترة هدوء العاصفة المؤقت . . والا .

ـ والا ، فانهم سينتظرون حتى تهدأ العاصفة نهائيا .

ـ كلا يا كابتن . انهم ان لم يتيسر لهم ذلك ، فلن يتيسر لهم ابدا . . لقد وصلت اشارة بذلك .

ـ بمعنى أنها لن تستطيع ان تصمد للمرحلة الثانية .

ـ هذا هو الواقع .

ـ انى قادم اليك .

ـ لشد ما اتوق لهذا اللقاء . ان مكتبى بالرصيف « ١ » .

وبعد أن احتسى كيلستون قهوته ، ارتدى معطفه وانطلق فى طريقه الى الميناء . ولاحظ وهو فى طريقه . ان حدة الرياح قد بدأت تخف ، وان النجوم بدأت تلوح من بين قطع السحاب . فهدأ نفسا وازداد اطمئنانا على مصير الباخرة الصغيرة .

وعندما وصل الى باب الميناء لاحظ ازدحام القوم ، كل يريد أن يطمئن على عودة سانتا لوشندا سالمة . ولما اعترض رجال الشرطة سبيله . اخبرهم بانه قادم بناء على دعوة مستر اوليفاريز له .

ولاح له انهم لم يقتنعوا بذلك . وبينما كان يحاول التفاهم معهم بلغتهم البرتغالية بقدر ما وسعه هذا ، سمع صوتا يقول بالانجليزية أو يكون القادم كابتن كيلستون ؟ ـ والتفت الطيار الى مصدر الصوت ليرى رجلا يرتدى معطفا ابيض يقف بجانبه . فاجابه :

ـ أجل . . كيلستون .

ـ انى جد آسف يا كابتن ـ لقد كنت بمحطة اللاسلكى ـ لم اتوقع قدومك بمثل هذه السرعة .

ـ لقد تحسن الجو ـ تحسن فعلا .

ـ نرجو هـــذا .

ثم تبادل الرجل الحديث مع رجال الشرطة الذين اسرعوا بفتح الباب له . وما أن شقا طريقهما فى الزحام عبر الاسوار ، حتى قدم اوليفاريز نفسه لكيلستون واردف قائلا :

ـ انثى الرجلّ المدين لك بالكثير وشد على يده مؤكدا امتنانه وعرفانه بالجميل . فاجابه كيلستون :

ـ لقد قامت القاطرتان بكل مايلزم . واعتقد انهما كانتا فى طريقهما اليها .

ـ لا اظن ذلك .. لم يكن بوسعهما الاهتداء الى مكانها دون معاونتك وبدا من نبرات صوته انه مصر على ارجاع الفضل كله الى كيلستون فقال له هذا :

ـ مهما يكن من امر هـذا الفضل . فيسرنا جميعا انه امكن الاهتداء اليها . كم تبعد الباخرة عن الشاطىء الآن ؟.

ـ ما يقرب من الميلين ، بسرعة اربع عقد .

ـ يطيب لى ان اسمع ذلك . اظن انها ستصـلّ فى الوقت المناسب قبل انسحاب مركز العاصفة وبداية وجهها الثانى .

ولم يعقب الرجـل بشىء . وكانه كان يخشى ان يبدى رايه او يؤكد شيئا ، فتثير العاصفة من جديد قبل الأوان .

وتابعا سيْرهما حتى اقتربا من المبنى الوحيد الذى تتلألا انواره على رصيف الميناء ولاحظ كيلستون وجود عدد من النساء وآخر من الرجال الذين رفعوا قبعاتهم ملوحين بها لأوليفاريز وسمع كيلستون الرجل يقول فى عصبية ظاهرة .

تلك هى اسرهم . اسر الرجال الذين شاءلهم حظهم ان يكونوا على ظهر هذه السفينة . هذا الانتظار هو ادق المراحل جميعا .. وهم لن يهدءوا الا اذا راوا سانتا لوشندا تدخل الى الميناء وتستقر الى جانب هذا الرصيف .

ثم تابط كيلستون واتجه به الى مكتبه قائلا :

ـ ان لاريتا ستعد لهما قدحا من القهوة .

وعندما تمهلا عند باب الحجرة الداخلية . وقع نظر كيلستون على فتاة ترتدى معطفا اخضر تقف فى الطرف الآخر منها وكانت تعد القهوة فعلا . . وقالت دون ان تلتفت اليهما :

ـ كارلوس ، ان الطقس شديد البرودة فى الخارج ، وهأنذا اعد لهم اقداح القهوة . ان أمامهم نصف ساعة اخرى على الاقل قبل ان يشاهدوا اضواءها .

ـ الم يتصل بك أحد ؟ اما من رسالة لى ؟.

ـ كلا !.

ـ كارينا ، هذا هو الكابتن كيلستون .

فاستدارت الفتاة ، ليرى كيلستون ، أمامه وجها بيضاويا يعلوه شعر اسود فاحم تبدو صاحبته فى الثامنة والعشرين او اقل قليلا ، ببشرة غضة ناعمة الملمس تتفجر صحة ، ابعد ما تكون عما يبدو فى عينيها الرماديتين من عمق وتجربة . وتقدمت نحوه ومدت له يدها فى استيحاء قائلة :

ـ وانا بدورى أود ان أشكرك .

وكانت تنطق الانجليزية بلهجة سليمة حريصة على مخارج الفاظها فى تحفظ شديد . ثم قدمت له قدحا من القهوة ولأوليفاريز قدحا آخر . وسمعه كيلستون يقول :

ـ لعلك ترى كم تعنى بأمرى . انها أغلى قدرا عندى من سفنى ، كما انها لاتسبب لى شيئا من القلق كما تسببه هذه السفن لى .
فعلقت على هذا قائلة :

ـ وذلك لأننى لا اخرج الى البحر .

فقال اوليفاريز :

ـ ان السكرتيرة لا تترك مكتبها .

وما ان سمعت هذا منه حتى التفتت الى كيلستون قائلة :



ـ ولكنه وعدنى باننى أستطيع الخروج الى البحر فى يوم من الأيام . فأمن الرجل على قولها هذا .

واحتسى كل من الرجلين قدح القهوة . واستعدت كارينا لتخرج الى الرجال بأقداحهم . وعرض عليها كيلستون ان يعاونها فى حمل الاقداح . وتبعها الى الدهليز واستطاع أن يتبين على الضوء النافذ من مصباح الغرفة رشاقة قوامها وجمال شعرها .

وما ان نفذت من الباب الى الخارج . حتى اعلنت للمجتمعين انها قد حملت اليهم اقداح القهوة وسالتهم عن آخر الانباء .

وقام كيلستون بصب القهوة فى الأقداح .. وكانت بدورها تناول كلا قدحه مبتسمةمشجعة لهم . ورأى كيلستون انه كالدخيل بين أفراد اسرة واحدة ، فانسحب الى الداخل حيث وجد اوليفاريز واقفا يتأمل الحشد من النافذة .. وسمعه يقول له :

ـ كان من الواجب أن اكون مع كارينا لاسرى عنهم . ومع ذلك فقد تكون خيرا منى فى ذلك .. وهم يعرفون أنها منى فى منزلة الابنة .

ـ اهى برتغالية ؟

ـ اوه كلا .. تشيكية .. لقد قاست كثيرا فى حياتها .

ـ انها رائعة الحسن .

ـ اجل .. قالها أوليفاريز فى اقتضاب فهم منه كيلستون أن الرجل لا يرغب فى التحدث عنها باكثر من ذلك .

وران الصمت على الرجلين وخيم السكون فى الخارج ، ومرت الدقائق فى تثاقل ضاعفت منه لهفة أوليفاريز وتأمله ساعته من دقيقة لأخرى .

وفى هذا الجو المقبض من الانتظار والترقب ، علا صوت صفير نقلته الرياح من بعيد ، اعقبتــه صيحة فرح طاغية رددتا

صداها جبال الخليج ، واهتزت جنبات الوادى بتهليل الحشد المجتمع لانتظار اقرانهم اخيرا على الاعصار القاسى العنيف .

واندفع الرجلان الى الخارج ، ليريا سانتا لوشندا فى ضوء الأنوار المسلطة عليها فى طريقها الى الميناء . تتهادى خلف القاطرتين وطوقت كارينا بذراعيها اوليفاريز مهللة كارلوس . انهم بخير ، ثم استدارت الى كيلستون مبتسمة .

ـ لقد عادوا ـ سالمين الى بيوتهم .

ـ هل تعرفين جميع الرجال على ظهر الباخرة ؟

ـ اجل .. فردا فردا .

ووقفا جنب الى جنب ، بينما شغل اوليفاريز بالحديث مع اسر العائدين راضيا مسرورا . والقى رجال الميناء بالحبال الى رجال السفينة . وقال كيلستون وهو يتاملها :

ـ انها لم تصب باضرار كثيرة .

ولم تعقب الفتاة بشيء والتزمت جانب الصمت . ولاحظ أن الدموع تفيض من عينيها . فأشاح بوجهه عنها . حتى لا تلتقى عيناه بعينيها .. الا انهما التقيا فى نظرة عابرة . واطرق براسه يحدق النظر فيما بين قدميه . وادرك انه يجمل به أن يشعرها بمشاركته لها فى احساسها . فتلمس يدها فى الظلام يمسك بها ، فوجدها باردة كالثلج .

وفضل لا ينطق بشيء . واكتفى بتلك اللمسة تفهم هى منها كل شيء . وعادت الرياح تهب عاصفة قوية ، والأمطار تتساقط مدرارا منذرة باستئناف العاصفة لنشاطها .. ووقفا يدا فى يد يراقبان سانتا لوشندا وهى تقترب من رصيف الميناء .

* * *

وكان الاعصار قد ساءه ان تفلت سانتا لوشندا من بين براثنه فاندفعت رياحه هادرة عاتية فوق الجزيرة . ونفذت لفحة منها من احد ابواب حظيرة الطائرات في مطار سانتا انا ، ودفعت امامها سلما معدنيا دق مؤخرة الطائرة « ايزى زيرا » واحدث بدفتها عطبا .

وكانت هذه المرحلة هي آخر مراحل الاعصار واشدها قوة ؟ اهتزت لها خرائط الاحصاء في كثير من انحاء العالم . وما ان وافت الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي حتى كانت مؤخرته قد تركت جزر الآزور ، وعادت الحياة الطبيعية الى سان ميجويل .

واتجه الاعصار فيليسيتي مسرعا نحو خليج بسكاى . ثم بدا يدب اليه الوهن بعد ذلك . واذاعت نشرة أخبار الساعة الواحدة من محطة الاذاعة البريطانية ، ان الاعصار بدأ يغطى الجزر البريطانية مبتدئا بايرلندا .

وبالرغم من أن الاعصار كان بعيدا عن مركزه الا ان الرياح كانت تعصف بشدة خافقة في نوافذ غرفة مكتب مستر فيتيش ، مدير خط وسط الاطلنطى للشركة ، الذى كان يراجع برقية من مطار سانتا انا طلب دفة جديدة للطائرة « ايزى زيرا » .

وفي الطرف الآخر من مطار لندن الجوى ، بالممر رقم ١٠ كانت الطائرة « ايزى دوج » في طريقها الى الانطلاق بقيادة الكابتن بيتر فيريس ، حاملة على متنها الدفة الجديدة للطائرة « ايزى زيرا »

واشتد هبوب الرياح جنوبى لندن ، حيث كانت فيرونيكا كيلستون في طريقها لزيارة بعض الأصدقاء ، وعصف الهواء بخصلات شعرها وافسد زينتها . وما ان فتحت لها الباب صاحبة المنزل حتى بادرتها فيرونيكا شاكية مما فعلته الرياح بها وبشعرها .

وبلغت الرياح فى عصفها تشارقيلا بعد ظهر هـذا اليوم ، وعصفت بازهار الكريزانتوم فى حديقة الكابتن ميشيل ليمنج ، الذى اسرع اليها يحاول صيانتها بجدار من الحشائش ليحميها ، لانه كان بعدها ليتقدم بها الى احد المعارض . وقد كان فخورا بها معتزا بروعة جمالها .

« الشاى ، يا عزيزى » .. بهذا نادته زوجته بصوت أقرب ما يكون غناء « فى حجرة الاستقبال كالعادة » .

وكانت ترتدى ثوبا ازرق يناسب جمالها ويضاعف من روعة حسنها .

الجزء الثاني

منتصف الربع
الجنوبي والشرقي
١٦ اكتوبر ــ ١٩ اكتوبر

ــ ١ ــ

كانت ساعة الشاى عند ميلانى ليمنج ، هى أحلى ســـاعات النهار التى تنعم فيها مع زوجها ومع اطفالها بما تعده لهم من فطائر، بينما تتأمل الحديقة بازهارها الجميلة قبل أن يخفيها الظلام عن العيون .

وفى حجرة الاستقبال ، جلس ميشيل ليمنج ينعم بالهدوء وبالدفء بعد ان ترك جو الحديقة العاصف . وقال لزوجته وهو يمد يده بقدحه يطلب مزيدا من الشاى :

ــ ان المرء ليشعر هنا بالدعة وبالأمان . وكم يطيب لى ان اطمئن نفسى بأن اجازتى لم تنته بعد .

ولم تكن ميلانى لتسعد بتلك الساعة من النهار ، الا فى أيام راحة زوجها وأجازاته الشهرية ــ اما اذا كان فى الخدمة ، فلم يكن تناول الشاى ليعنيها فى كثير أو فى قليل . وارتسمت على شفتيها الجميلتين ابتسامة سعيدة كشف عن هنائها وزادت من جمالها .

وسألها ان تناوله صحيفة المساء ليطلع على آخر الانباء بينما تقوم هى برفع بقايا الطعام ، وبعد قليل ناداها قائلا :

ـ ميلانى .. بعض الانباء عن مارك كيلستون .

وبعد فترة صمت قليلة ، سمعها تسأله من ناحية المطبخ :

ـ اهو بخير ؟.

وكانت فى صوتها رنة قلق ادرك منها ما يتبادر الى ذهنها عندما تسمع او تقرأ شيئا فى الصحف عن الطيارين . فأسرع يجيبها :

ـ بكل تأكيد . لقد جعل من نفسه بطلا يشار اليه بالبنان ، لانقاذه باخرة عند جزر الآزور .

ـ انها لأنباء مثيرة فعلا !.

ـ لقد كانت باخرة صغيرة . تعالى واقرئى بنفسك فجاءت بعد أن فرغت مما فى يدها ، وجلست لتقرأ الفقرة التى عينها لها زوجها . وبعد أن انتهت من الاطلاع على النبأ قالت :

ـ يالها من مغامرة ! ياله من عمل مجيد !.

ولكن ليمنجلم يكن متحمسا الى هذا الحد . فها هو ذا كيلستون، كما كان دائما ، يعلو بقامته على غيره من اقرانه ، فتسلط عليه الاضواء ويحجب نورها عنهم . فقال معقبا :

ـ لست ارى فيما قام به ما يستحق كل هذه الضجة . لقد جرت كل هذه الأحداث بالقرب من سانتا أنا ..

ـ ستسعد زوجته فيرونيكا بقراءة هذا النبأ .

ـ وهى نفس الانباء التى تدخل السرور الى قلبه فعلا .

ـ يا للمسكينة ..

ـ ولماذا ؟ . انك لا تميلين اليها ؟ .

ـ نعم . ولعل هذا هو السبب فى رثائى لحالها ـ اننى اشعر بعقدة الذنب حيال من لا اميل اليهم من الناس فاكثر من الاشفاق عليهم !.

ـ انك تبددين شفقتك .

ـ ليست شفقة فقط . انه عطف ايضا .

ـ انهما من طراز واحد .

ـ ما الذى حدا بمارك ان يتزوج منها ؟.

ـ لا تساليني عن ذلك .. ان الناس يتقابلون ثم يالفون هذا اللقاء ويعتادون عليه . واخيرا يرون أنه من الخير لهم ان يصبح هذا اللقاء ابديا .

ـ انهما لا ينعمان بالسعادة كما ننعم نحن .

فابتسم وهو يقول لها :

ـ حقا ما تقولين . ولكن هذا لا يعنى انهما غير سعيدين ؟.

ـ انه يبالغ فى ملاطفتها . الا انه لا يوجد بينهما هذا الغرام المشتعل ؟.

وتناول مبشيل الصحيفة من زوجته وهو يقول :

ـ مهما يكن من امر ، دعينا من التحدث فى هذا الشأن . وبالذات فى ساعة تناول الشاى العزيزة علينا ، والتى لم يبق لنا من مثيلاتها الكثير .

ـ اجل .. قالتها ميلانى مطرقة برأسها وقد عدات فجأة .

ـ ان ايام العطلة تمضى سراعا . دعينا نرى كم تبقى منها ؟.

ـ خمسة ايام ..

ـ خمسة ايام فقط ؟. حسبتها اكثر من ذلك . هل اعددت لى كل شىء ؟ الحلة الرسمية والقمصان ؟.

ـ كل شىء معد لك .

واطرقت شاردة الفكر . فقال لها :

ـ ماذا بك ؟.

ـ لا شيء ... احيانا .. لاشيء ...

ـ افصحى بربك يا ميلانى . ماذا بك ؟.

ـ هذه العطلة ما كادت تبـــدا حتى انتهت .. واطرقت وقد اغرورقت عيناها بالدموع .

ـ او هذا كل ما يشغلك ؟.

وسرى عنه أن يدرك ان هـــذا هو كلّ ما يشـغلّ بال زوجته وبشقيها . ولـكن ماذا بوسعه أن يفعل ؟. ان مهنته تتطلب منـه غيابه عنها ، وهى تحبه حبا لا تطيق معه غيابه عنها . وهذا الحب كان اساس زواجهما واصبح قوام حيـــاتهما كلها . ولم يدرك أن ما قاله اساءها الا بعـــد ان رآها وقد اتقدت عيناها شررا وهى تقول له :

ـ أجل .. هذا كل ما فى الأمر .

ونهضت تقف فى مواجهته ، محدقة بعينيها فى عنبية .

ـ تعالى يا ميلانى ، لا تبالغى هكذا فى تصوير الأمور .

ومد يده محاولا أن يأخذ بيدها بين يديه . فجذبت يدها وهى تقولّ له :

ـ ان ما قلته يدل بجلاء على مدى فهمك لشعورى .

ـ ميلانى .. انك تحملين الألفاظ اكثر من معانيها ، وانك لتعرفين كم احبك .

ـ تحبنى !. انك تحب البيت فى مجموعه . تحب هذا البيت الذى هو بمثابة الميناء لك . تعود اليه وتستريح فيه ، وتجد فيه كل شيء معدا لك حسبما تشتهى . ثم تنطلق مرة اخرى . انك تقضى ثلثى أيام حياتنا بعيدا عنا .

وساءه ان يسمع ذلك منها . انه ابعد ما يكون عن العقلّ والادراك الصحيح .

ـ ان مهنتى تقتضى منى هذا كما قلت لك مرارا ، وبفضلها تعيشين فى دعة ورغد من العيش .

ـ ان هذا البيت يصبح كالمقبرة بعد ان ترحل عنه . ان ايام الأسبوع تطول وتطول عندما تكون بعيدا عنا . وتقصر ثم تقصر حتى لا تكاد تشعر بها وانت بيننا . انك لا تفهم ذلك .

واجهشت باكية وحاول ان يسرى عنها . فاستطردت منتحبة !

ـ ان كارثة طيران جبل طارق لا تبارح مخيلتى .

ـ ميلانى .. انك تبالغين . لقد مضى عامان منذ وقوع تلك الكارثة . والأمور تسير بعدها على ما يرام .

ـ ان حبى لك هو الذى يجسم فى عينى الامور .

ـ لست اراه حبا مجردا . انه حب التملك .

ووقف كل منهما يحدق النظر فى الآخر فترة قطعتها عليهما دقات الساعة الكبيرة معلنة تمام السابعة مساء . فاستدارت منصرفة وهى تقول :

ـ حلت ساعة ذهاب الاطفال الى فراشهم .

ووقف ميشيل ليمنح مشدوها محنقا ، فقد كان من النادر ان يتشاجرا . وامضيا السهرة كل منهما فيما شغل نفسه به ، ميلانى بالمطبخ تعد بعض الفطائر ، وميشيل يقرأ فى غرفة الجلوس ، وعندما دنت ساعة النوم حيا كل منهما الآخر تحية المساء فى برود . دون أن يتبادلا كلمة واحدة بعد ذلك .

وساد التوتر جو المنزل فى اليوم التالى . وحاول ميشيل أكثر من مرة ان يلطف من حدة هذا التوتر دون جدوى . فكان يتقرب اليها وكانت تصده فى دلال الغضب ..

وفى الساعة الثامنة من اليوم التالى لثورة الاعصار العارمة ـ وهو نفس اليوم لثورة آل ليمنح العاصفة على بعد الف ميل منها ـ كان رئيس المكتب فى مطار سانتا انا يخطو خطوته الأولى مع كيلستون حين طلب تليفونيا تقريرا مفصلا عما لحق بالطائرة ابزى زيرا من اضرار ثم راح ينتظر الايضاح المطلوب .

وقرر دادلى ، فيما بينه وبين نفسه ، فى حالة ما اذا كان رد الطيار ردا غير محرج ان يعتبر الموضوع منتهيا . اما اذا كان رد

كيلستون معقدا للامور . فهو مضطر أن يدافع عن نفسه بكلّ ما لديه من لوائح وتعليمات بحيث لا يترك له مجالا لمهاجمته .

ساله كيلستون :

ـ هل تأكدت من ان باب الحظيرة الذى نفذت منه لفحة الهواء كان محكم الاغلاق قبل ذهابك الى منزلك ؟.

ـ هذا من اختصاص المهندس يا كابتن . والجميع يؤكدون ان الباب كان مغلقا بعد انتهائهم من عملهم .

ـ اذن ، فمن يكون المسئول عن ذلك ؟.

ـ لست ادرى . . هذا ما كان فعلا .

ـ الا تشك فى احد ؟.

ـ كلا . ان العاملين معى فوق مستوى الشكوك ؟.

ـ هذا ما كنت أظنه فعلا .

ـ ولم لا يكون المسئول عن ذلك احد عمال المطار من البرتغاليين ؟.

ـ قد يبدو هذا صحيحا .

واطمأن دادلى الى هذا الرد ، ورأى كيلستون (الذى كان يخشاه) يلتزم جانب المنطق المعقول فى تكييفه لأسباب الحادث ، فقال معقبا :

ـ لم يكن ينقصنا الا هذا العطب ـ لقد اخطرت لندن لتبعث الينا بالغيار الجديد . وهذا يؤخر رحيلكم مدة يومين على الأقل ، ومع ذلك . . فلابد مما ليس منه بد .

لست من رأيك ، ان فيما حدث اكبر دليل على عدم الكفاية الادارية .

وفوجىء دادلى بما سمعه فقال ممتعضا :

ـ ليس هذا من شأنى يا كابتن كيلستون ، انا غير مسئول عن تقلبات الجو ولا سيطرة لى عليه .

ـ ولكنك مسئول عمن يعمل معك . وكان من المفـــروض ان تعرف حقيقة كل من يعمل فى المطار ومدى استعدادهم وكفايتهم . كما كان لزاما عليك ان تعين من يقوم بحراسة الطائرة .

ـ هذا القول من السهل ترديده بعد وقوع الحادث .

ـ بل انه التصرف المعقول .

ـ ساقدم تقريرا بذلك .

ـ وانا بدورى ساقدم هذا التقرير . انك مسئول عن ســلامة طائرتى مادامت فى المطار .

ـ لست من رايك يا كابتن .

ـ لم اكن انتظر منك أن توافقنى على رايى .

ثم قطع كيلستون المكالمة التليفونية ، تاركا دادلى مرتبكا فى حيرة من أمره .

واخبر كيلستون معاونيه بما جرى بينه وبين دادلى اثناء تناولهم طعام الفطور وعلق باتس على ذلك قائلا :

ـ يا الهى .. أو .. يومان آخران فى هذا الميناء ؟ ! .

وبعد ان انتهى كيلستون من تناول طعام افطاره ،عاد الى غرفته ليعد تقريره الذى بعث به فيما بعد لمستر فيتش فى لندن . وترك للاخير تحديد المسئولية بعد ان بين له الوقائع تفصــــيلا . وتلك الوقائع لا محالة تشير باصابعها الى مستر دادلى .

وما ان فرغ من تحرير تقريره ، حتى غادر غرفته الى الشرفة بالدور الارضى ، حيث امضى ساعة فى القراءة وفى التمتع بمنظر الخليج من آن لآخر . وفى الحق أن ذهنه كان شاردا يفـــكر فى كاريتا وفيما سمعه من أوليفاريز عنها وعن حياتها التعسة . وكان وجهها بعينيها يغطى ما أمامه من صفحات . واستعاد حديثها عــلى أسر الغائبين ، وشعر بلمسة يدها الباردة فى يده .

وما ان وافت الساعة العاشرة صباحا ، حتى اتصل به دادلى تليفونيا ، وقال له فى لهجة رقيقة ان لندن اتصلت به لتخطره بان

« الدفة » الجديدة فى طريقها اليهم . كما اخبره بانه امر بوضع سيارة ركاب تحت أمر المسافرين لتجوب بهم الجزيرة فى فترة انتظارهم .

وخرج كيلستون فى اشعة الشمس لينعم بصفاء الجو بعد كل ما عاناه من اكفهراره وعواصفه ، وراح يمتع ناظريه بزرقة البحر وخضرة منحدرات الجبال . واتخذ سبيله عبر المدينة الى فندق كاسل حيث كان يقيم المسافرون . ووجد معظمهم يجلس فى بهو الفندق ، فحاول ان يشرح لهم حقيقة الموقف ويحيطهم علما بكل ما اعد لهم . واصدر أمره قبل انصرافه لادارة الفندق بان الشركة تتحمل جميع نفقاتهم ، وتركهم راضين مسرورين ولم يكن مستر باركنسون بين الحاضرين ، فتطوع الضابط البحرى مشكورا بنقل آخر الانباء اليه .

وانطلق بعد ذلك فى طريقه الى الميناء ، وهو جد مشوق ان يقع نظره على كارينا مرة اخرى . الا أنه قد خاب فأله عندما لم يسعده الحظ بلقائها . واستقبله اوليفاريز مرحبا — وان كان ترحيبه اقل حرارة من قبل . وسرد كيلستون على مسامعه ما كان من امر العطب الذى أصاب مؤخرة الطائرة،ثم استفسر منه عن مدى مالحق سانتا لوشندا من اضرار ، فأجابه اوليفاريز بأنها أضرار جسيمة ، ولكنها مع ذلك أقل تكلفة من ثمن باخرة جديدة ، كما علم منه ان شركة التامين جد مسرورة بهذه النتيجة بعد كل ما كان متوقعا .. واختتم حديثه قائلا :

— وكارينا الآن فى مكتب الشركة للفراغ من هذا الامر »
وغير كيلستون موضوع الحديث من سانتالوشندا الى كارينا قائلا :

— سمعتك تقول فى الليلة الماضية ان كارينا وفدت على الجزيرة من تشيكوسلوفاكيا ؟ .

— اجل . انها الحرب يا كابتن . لقد انحازت الى الجانب الآخر ، وكما تعلم ..

— ولكن كل شيء انتهى منذ فترة طويلة .،

ـ ربما كان ذلك صحيحا . ولكنها ممنوعة من الدخول الى أى بلد من البلاد المنتصرة .

ـ ولماذا ؟ هل كانت اسرتها نازية ؟.

ـ ان اخاها ، جوزيف كارانتيك ، كان يشغل مركزا كبيرا بالجيش الالمانى . ويهتم البريطانيون بالبحث عنه فى كل مكان .

فقال كيلستون بصبر نافد :

ـ لقد مضى كل ذلك وانتهى امره .

وعلت وجه اوليفاريز شبح ابتسامة وهو يقول :

ـ ربما كان ذلك ما يجب ان يكون فعلا . ولكن ما جرى كان على العكس من هذا . فعندما دخل الروس بشيوعيتهم الى براج، حيث كانت تشتغل بالتمريض ، حاولت أن تلجأ الى انجلترا فلم توفق . فقال كيلستون غاضبا :

ـ على اى اساس كان ذلك ؟ وما ذنبها هى حتى تؤخذ بجريرة أخيها ؟.

ـ كانوا واثقين أنها تعرف أين هو وتخفى ذلك عنهم . وحتى لو فرضنا صحة هذا ، اما كان ذلك ما يفعله كل شخص فى مكانها؟ أنت وأنا وهم أنفسهم ..؟

ـ فلم تجد غير البرتغال أو ممتلكاتها أرضا تلجأ اليها ؟.

ـ وهذا ما كان فعلا . لقد وفدت الى هنا على ظهر احدى سفنى خالية الوفاض لا تحمل معها غير اسمها كارينا كارانتيكوفا، وقد أسعدنى الحظ بان اكون اول شخص تقصده لتبحث عن عمل.

ـ الم تحاول مرة اخرى الالتجاء الى انجلترا ؟ لقد تغيرت الاحوال .

ـ ان الاحوال قد تغيرت فعلا . ولكنى اعتقد انها قانعة سعيدة بحياتها هنا . وما اظنها تفكر فى الرحيل الآن .. ومهما يكن من امر ، فان أخاها لا يزال من المطلوب اعتقالهم .

ولم يعقب كيلستون بشىء .. وجلس صامتا برهة سمع بعدها اوليفاريز يقول له :

ـ يبدو لى انك مهتم بأمر كارينا يا كابتن »

ـ انها فتاة جذابة .

ـ لو كنت منك لاستفسرت منها شخصيا عما سألتنى عنه »
ولما هم كيلستون بالانصراف قال له اوليفاريز :

ـ من المستغرب حقا يا كابتن .
وانفرجت شفتاه عن ابتسامة عريضة .

ـ انها وجهت الى الكثير من الاسئلة عنك بعد انصرافك فى الليلة الماضية ولم يكن بوسعى أن اشفى غليلها . لعلك تفضل التوجه الى شركة التأمين . لابد وان كارينا قد انجزت ما لديها من عمل هناك .

وحاول ان يبدو طبيعيا ، وترك كيلستون أوليفاريز مودعا ، واتجه الى مكاتب شركة التامين . حيث وجد كارينا مع المديروطلب اليه ان ينتظر .

وخرجت اليه بعد نصف ساعة. ولم يبد عليها انها فوجئت بحضوره . وكان كل ما قالته له :

ـ كنت ارجو أن اراك ، ولكننى لم اتوقع ان يتحقق ذلك اليوم .

وبدا يسرد على مسامعها ما اصاب الطائرة من عطب . وكانت تصغى اليه مبتسمة ، ولم تحاول ان تخفى مشاعرها حين قالت له :

ـ معنى ذلك أن امامك يومين آخرين . يومان كاملان بكل ما فيهما من ساعات ودقائق .

وبدا من لهجتها انها تفرض مقدما انهماسيقضيان هذين اليومين معا ، وسارا جنبا الى جنب ، ذراعا فى ذراع ، وقد تلامس كتفاهما فى دفعة القلوب المتفاهمة. وراح يتامل وجهها الجميل الذى تدلت عليه خصلات شعرها الاسود يعبث بها النسيم ، فتزيده جمالا على جمال . ورأى فى عينيها لاول مرة صفاء الفرح ، بعد أن كانتا تفيضان حزنا وأسى .

قال لها :

ـ عجبا أكنت ترقبين عودتي ؟.

قالت له :

ـ كان هذا هو احساسي بمجرد ان التقيت بك . ولما وصلا الى مكتب اوليفاريز ، سألته ان ينتظر ريثما تستأذنه في التغيب قليلا . وعادت اليه بعد قليل مسرورة جذله ، لتعلن اليه موافقة اوليفاريز على الاذن لها .

ـ ٢ ـ

قالت له كارينا : وهي تلمس ذراعه برفق :

ـ هناك يا مارك . هناك بعد الغابات !. تلك المباني التي تحيط بالكنيسة . انها تذكرني بالريف القريب من أورافا ، حيث كنا نرتع ونلعب صغارا في وطني .

وكانت سيارة الركاب الكبيرة تسرع في سيرها صوب بحيرة فيرناس البركانية . المختفية بين جبال سان ميجويل . وتأمل مارك المنظر المترامي امامه مبتسما ، وأدرك أنه لاحاجة به لأن يشيد بجماله ، لأنها كانت ترى في هذا الجمال قطعة من ماضيها في وطنها بين أهلها وعشيرتها . وكانت مسترسلة في حديثها ، تسرد على مسامعه ما كانت تلهو به هي وشقيقها جوزيف وأبناء عمومتها ، وما كان من امر عمتها ماجدا معهم . وكانت تنظر اليه من وقت لآخر . وكانها وجدت في هذه الذكريات وفي صحبته لها ما أنساها كل ما بنفسها من مشاعر اخرى .

اما هو فكان يشعر بفيض من السعادة الطاغية والدعة المستكنة عندما لامس كتفها كتفه واستقرت يدها بين يديه . ان ما مر به من احداث وصادفه في حياته من اطوار لم يكن بأكثر من صور ثابتة من الأبيض والاسود . وقد انقلبت هذه الصور في جوارها ومعها بحية متحركة تزهو بالوانها وبريقها .

وتوقفت بهما سيارة الركاب اخيرا امام الحانة فى اعلى المنحدر وتركها المسافرون ليستريحوا قليلا بعد ما تعرضوا له من مشقة اثر صعود هذا المنحدر الوعر . وتركها عند باب الخان ليأتيهابكأس من شراب الماديرا . وعاد بالكأسين ليجدها جالسة على حافة الجدار تتأمل السهول الممتدة امامها حتى شاطىء الأطلنطى . ووقف بدوره يتأمل جمال وجهها ورشاقة قدها . فلما شعرت بقدومه ، استدارت اليه بعينيها الرماديتين وقد افتر ثغرها عن ابتسامة حلوة وديعة .

واسرع يقدم اليها كأسها قائلا :

ـ فى صحتك . لست ادرى هل تنطقونها هكذا ؟.

ـ لأنه كان قد نطق الكلمة باللغة التشيكية . وردت اليه تحيته بلغته الانجليزية . ولامس كأسها كأسه قبل أن تلامس شفتيها . ووقف يرنو اليها ثم سألها

ـ الا تنوين العودة الى بلادك ؟.

ـ كلا . لم أفكر فى هذا مطلقا ..

ـ وماذا كان من امر اخيك والعمة ماجدا وغيرهما من ابناء عشيرتك ؟.

ـ أما عن اخى جوزيف . فقد فرهاربا بعد انهزام الالمان . وعن عمتى وسائر افراد الأسرة فهم لا يزالون هناك الا .. ثم ترددت قليلا قبل أن تستطرد :

ـ الا والدى الذى قتل ؟.

ـ قتل ؟. اذا لم يكن لديك مانع ، سردت على تفاصيل ذلك ؟.

ـ بعض التفاصيل فقط . لان منها مالا ارغب مطلقا فى الافضاء به وبعد فترة تردد استطردت قائلة :

ـ لم يكن والدى نازيا . ويجب ان تثق فيما اقوله لك . ولكنهم كانوا يعتمدون عليه ، لأنه كان شخصية محبوبة تتمتع بنفوذ قوى . وكان يعمل فى صناعة الصلب ، كما كان عمدة لبلده ـ عمدة يحبه الجميع .

وارتشفت قليلا من كأسها وواصلت حديثها ، وتقرب النازى اليه . وتظاهروا بوضع ثقتهم فيه . وصدق والدى هذا واعتز بهذه الثقة . وكانت بلادنا معرضة لشرور من عدة نواحى . ورأى والدى فى النازية اقل الضررين ، الضرر الآخر فى اعتباره كان الشيوعية .. وما ان انتهت الحرب حتى أصبح كل من تعاون مع النازى هدفا للسخط وخارجا على وطنه . واستطاع اخى جوزيف ان يفر هاربا . اما والدى ، فقد قتل رجما بالحجارة فى عرض الشارع . قتله هؤلاء الذين عرفهم طوال حياته واحبهم وتفانى فى خدمتهم .

ـ وجوزيف ؟ ماذا كان من أمره ؟.

وارخت اهدابها محدقة النظر فى الكأس الذى كان بين يديها قائلة :

ـ جوزيف كان نازيا .

ـ اذن ، فقد كان بسببه انهم ...

ولم تدعه يتم ما كان بسبيل النطق به . اذ قالت له مقاطعة :

ـ وكان قبل كل شيء ... اخى !.

وافرغت ما تبقى بالكأس من نبيذ فى جوفها . ورنت اليه فى حركة رشيقة وهى تقول له وقد زال عنها مابها ، كاننا فى عطلة . ثم ضغطت يده بين يديها ضاحكة ، انه لمما يشرفنى ان اكون برفقة الرجل الذى تقدره الجزيرة كلها ـ رجل الساعة ..

وعادا ليستقلا السيارة مع غيرهما من الركاب . وانطلقت بهم جميعا فى طريق سهل ميسر ينحدر الى قرية تقع على مشارف بحيرة فيرناس . وتوقفت السيارة امام الفندق ، وسمع كيلستون كارينا تقول له

ـ لا يمكن للسيارة ان تواصل السير بعد ذلك . وتبعها فى طريق وعر تحف به الاشجار على الجانبين ، ويخيم عليه السكون الذى فرض عليهما احترامه فسارا جنبا الى جنب ، وقد صحا نفسا واحدة وطاب لهما ان ينعما معا بكل هذا الجمال فى هدوء .

واخيرا قطعت كارينا حبل هذا الصمت قائلة وهي تشير بيدها ناحية منحدرات التلال والوديان .

ـ هناك بعض اشجار الاناناس ، ومن هنا طريق يؤدى الى شاطىء البحيرة راسا ، ولكنه قد يكون كثير الأوحال .

ـ فلنحاول . واذا تعذر عليك السير حملتك بين ذراعى .

ولم تعرف لماذا احمر وجهها خجلا عندما سمعت ذلك منه ومشت بجانبه على استحياء مطرقة تتخير طريقها بين حفر الطريق. ولكنه كان ممسكا بيدها حريصا عليها حرصه على شىء عزيز اثير وتابعا طريقهما بين الاشجار التى عزلتهما عن العالم فلم يشعرا الا بوجودهما معا منفردين .

ولاح لهما من بين اغصان الاشجار المدلاة ، ماء البحيرة وقد انعكست عليه اشعة الشمس فزادته بهاء وروعة ، ووقف مارك كيلسون ماخوذا بكل هذا الجمال . الجمال فى كل شىء بدالخالق المدعة تظهر واضحة فى كل ما يحيط به . حتى فى كارينا التى وقفت الى جانبه آية من آيات الحسن والجمال . وامتدت يداه الى كتفيها يجذبها اليه ليودع شفتيها قبلة أودعها كل ما تفيض نفسه به من احساس وشعور .

ثم خلى بينه وبينها ، ورفع يديه عن كتفيها ، وخطت الى جدول صغير بين الصخور وقفت تتأمله لحظة ، ثم انحنت على فروع السوسن تلتقط منها ورقتين ناولته احداهما قائلة :

ـ لكل منا ورقة .

وتامل الورقة فى يده ، ثم رفع اليها عينيه دهشا مستفسرا ، فقالت له ضاحكة :

ـ لا تنظر الى هكذا . انه تقليد تشيكى ، فى أوراق شجرة السوسن سر ساحر . انها تحكى لك مستقبلك وتعين لك مختار قلبك ، ومدى ارتباط حياته بحياتك .

ـ هذه الورقة ؟. كيف ؟..

ـ فلنلق بورقتك الى الجدول . وساحذو انا حذوك . وسنعلم من الورقتين ما نريد ونبغى . هل يرتبط مصيرى بمصيرك ؟. هل سنلتقى مرة اخرى ؟.

فقطب ما بين حاجبيه ، ووقف يحملق فى وجهها دون ان ينطق بكلمة واحدة ... فافهمته بانهما يجب ان يلقيا بالورقتين معا .

فالقى كل منهما بورقته ، ووقفا يتابعان مسيرهما . واخيرا اتصلت الورقتان قرب نهاية الجدول . فقالت كارينا جذله :

ـ هذا فال حسن ، وراحا يرقبان الورقتين معا حتى غابتا فى امواج البحيرة .. ووقف كارينا بعد ذلك ساهمة ترقبهما عندما طفت المياه عليهما .

وارتقيا صخور المنحدر ، حتى بلغا منبسطا يشرف على الوادى الأخضر الجميل .

واشار كيلستون الى نتوء صخرى املس ، وسألها فى صوت جاد ان تجلس . ووقف امامها يحدق فى وجهها الذى رفعته اليه مستفسره ، لأنها شعرت من لهجته انه يريد أن يتحدث اليها بشىء هام . وسمعته يقول لها ، موليا ظهره الى الوادى :

ـ لدى ما يجب ان اصارحك به ، بل وماكان يجب أن اصارحك به من قبل ! ... واصغت اليه ممتثلة بعينين متسائلتين .. ولم يجد بدا من أن يبعد وجهه عنها وهو يقول فى صوت مهتز النبرات !

ـ لا استطيع .. اعنى اننا لن نستطيع ...

فقاطعته كارينا قائلة فى هدوء .

ـ تعنى اننا لن نستطيع أن نستمر فيما نحن فيه لانك متزوج .

ـ وكيف عرفت ذلك ؟.

ـ وماذا كنت قائلا لى غير هذا ؟. وماذا هناك من سبب يحول بين استمرارنا فيما بدأناه غير ذلك ؟.

ـ فاستطرد قائلا :

ـ ثم انَّلى ولدا . ولم تعقب ، وتأملّ وجهها الذى تم عما يعتمل فى نفسها من اسى يفوق اساه . فاستمر فى حديثه قائلا :

ـ تلك هى حقيقة الامر ياكارينا . ولعلك تفهمين الآن كل شيء .. قال ذلك بلهجة قاطعة ، ضاغطا مخارج الحروف من كلمات مقطعه الاخير . ولم تعلق بشيء على ما قاله ، ولاحظ ان بريق عينيها قد تغير سناه .. وراحت تشغل نفسها بالنظر الى الحقول وقمم الجبال ، متنقلة ببصرها بينها صعودا وهبوطا . فلما استقرت بعينيها اخيرا على وجهه رآهما وقد اغرورقتا بدموع انحبست فى مآقيهما لا تفيض .

ثم راحت تتأمل يديها ساكنة لا تتحرك . واخيرا قالت :

ـ انك على حق يا جارك ، وكانت تنتقى كلماتها بكل عناية : فاذا ما استطعت ان ... ان تعدل عما بدأناه .. وكنت سعيدا بذلك .. فلتعد الى ما تركته .

ـ انك تستطيع هذا الآن لاننا لم نكد نبدأ .. اننا ما زلنا فى اول الطريق ..

فاجابها قائلا :

ـ انني لم اترك شيئا لاعود اليه .

فقالت :

ـ لم اعن هذا بالضبط . ثم رفعت كتفيها غير مبالية وهى تقول :

ـ ومهما يكن من أمر فتقرير ذلك متروك لك وحدك .

ـ لقد قررت ..

ومد لها يده ليعينها على النهوض .. ولكنها تجاهلتها ونهضت مولية وجهها شطر الناحية الأخرى من التل . فتبعها كيلستون ولاحظ انها تمشى بخطى ثابتة رافعة رأسها فى الهواء .. وكان سعيدا لان الامر ما كاد يبدأ حتى انتهى ، قرير العين بأنها انسحبت من حياته بعد ان ساءها ما سمعته منه .. وتعمد ان يشغل عينيه بالنظر الى الوادى وما فيه حتى لا تستقرا على قوامها

الذى كان يميل مع خطواتها التى تهتز كالنغم على الصخور يمينا ويسارا . وكان يتعجل وصوله الى السيارة التى ستنقله الى الفندق ومنه الى طيارته بمجرد اعدادها للطيران . وبذلك يصبح بمنأى عن تأثيرها وعن سحرها الذى جذبه اليها . وكما تبدد اشعة الشمس استار الضباب المتجمعة فوق سطح البحيرة ، بدد تحكيمه لعقله ما مر به من اطياف الأوهام .

واخرج يده من جيبه ليراجع ساعته . وفجاة وجدها تمد يدها اليها فلم يشعر الا وقد احتواها بين ذراعيه وكأنها كل ماله فى هذا الوجود .. وارتسمت ملامح الدهشة على شفتيها فبدا فمها جميلا ، فأودعه قبلة اطاحت بكل ما سببه لها من الم وحزن .. وقال لها وهو يرفع وجهها اليه بيديه الحانيتين :

ـ هذا القرار لم يصدر عنى ابدا . وما كان لأى منا ان يتخذه أليس كذلك ؟ اننا لم نعد نملك من أمر نفسينا شيئا . ان الفراق لم يقدر لنا بعد هذا اللقاء الذى وجدت فيه ما كان ينقصنى .

***

زهت الشمس باشعتها منطلقة بعد ان تخلصت من سجنها خلف اسوار العاصفة الداكنة بعد ان ظلت فيه مدى يومين كاملين . وبعدت ساطعة الى قمرة الطائرة «ايزى دوج» . التى كانت عائدة الى لندن بركاب الطائرة «ايزى زيزا » . اما الاعصار فيليسيتى فكان فى طريقه الى النرويج ، متيحا الفرصة لجو انجلترا أن يتحسن ويستقر .

وفى سهولة ويسر هبط فيرس قائد الطائرة «ايزى دوج» الى المطار قائلا للطيار المساعد كوكروفت .

ان الاحوال الجوية من الاستقرار بحيث كان من الممكن ان تهبط أنت بالطائرة دون مساعدة منى . ثم ترك الطائرة الى مكتب الشركة بالمطار ليقدم تقاريره المعتادة . وبينما كان موجودا بغرفة العمليات ابصر طائرة من طراز مارلبورو تستعد للهبوط بارض المطار . فقال لعله كيلستون يعود بطائرته ايزى زيزا بعد أن تم اصلاحها . وتوجه فيرس الى مكتب بريد الشركة الملحق بغرفة العمليات ليسأل عن

وسائل باسمه ، فالتقى بليمنج الذى قدم للغرض نفسه . فربت على كتفه قائلا :

ـ هاللو مارك ، ظننت انك فى عطلة .

ـ فعلا .

ـ ما الذى اتى بك اذن ؟

ـ كنت انتظر رسالة باسمى .

ـ او تطلب منهن انت الآخر ان يكتبن لك على عنوان الشركة ؟.

ـ أولا تفكر فى شىء آخر غير النساء ؟ لقد آن الأوان لتتزوج وتستقر .

ـ حاشا لله . لست احب أن احذو حذوك . ان شغلى الشاغل هو النساء والطائرات . وهما بالنسبة الى بمثابة الشوكة والسكين هل قدمت بسيارتك ؟.

ـ كلا . انها فى الاصلاح .

ـ اذن فلتصحبنى .

وقبل ليمنج شاكرا . واستقل مع فيريس سيارته التى انطلق بها فى الطريق الى تشارفيلد ، وكان ضباب الليل فى لندن قد بدا يعلن قدومه . وعرض فيريس على ليمنج ان يشاركه فى الشراب . وقبل الاخير العرض ، وتوقفا امام حانة « لامب اند دراجون » ..

وجلسا يتجاذبان اطراف الحديث . واستفسر ليمنج من فيريس عن احوال مارك كيلستون ، فقال له :

ـ اراهن أنه قد ساءه ان يرحل هكذا سريعا عن جزر الآزور.

ـ ماذا تحاول ان توحى به الى ؟ . هل فى الأمر علاقة غرامية ؟.

ـ هذا غير ممكن على الاطلاق .

ـ انا نفسى كنت من رايك ، وكنت ارى وقوع ذلك من الأمور المستحيلة . ولكن ..

ـ يا لله ! فيريس ، الان تفكيرك محصور فى هذه الأمور ترجع كل ظاهرة الى مثل هذا التعليل ! كلا . ان مارك ليس من هذا الطراز من الرجال . انك ..

ـ شيطان . اعرف ذلك . ولكنني كنت استبعد هذا عن الرجل الحديدي . ومع ذلك فهو حق لامرية فيه . لقد التقى بالفتاة فى سان ميجويل . لقد رايتها . وهى فاتنة جميلة . بقى ان تعرف انها من الشعوب البيضاء .

ـ انك تهذى !.

ـ ان الهذيان ليس من شيمة الشباب امثالنا . انه خليق بالشيوخ . انها حقائق رايتها راى العين .. واليك مارايت وشاهدت تعرف أنني قضيت امسيتين بفندق كاريراس . وكان مارك كيلستون بطبيعة الحال يشغل الغرفة المخصصة للكابتن . فافردوا لى غرفة تبعد عن غرفته بغرفتين . ولم يسعدنى الحظ بلقائه طوال الامسية وقبيل منتصف الليل ، كنت جالسا الى البار ورايته يدلف الى الردهة وفى صحبته فتاة . وحييته مرحبا ، فبادلنى التحية مسرورا فرحا بلقائي على غير ماكنت أنتظرمنه فى مثل هذه الظروف . وقدمني الى الفتاة ، وكانت تدعى كارينا . ودعوتهما لتناول بعض الشراب فاعتذرا . ثم توجها الى الدرج يدا فى يد وارتقياه الى الطابق الاعلى فماذا ترى فيما رأيته بعينى وسردته على مسامعك ؟.

وغشيت وجه ليمنج مسحة من دلائل الشك فى بادىء الأمر . غير أنه استبعد ان تكون القصة من نسج خيال فيريس . فقال بعد برهة استغراق قصيرة :

ـ لعلهما كانا بسبيل استعراض بعض الامور .. ثم تقفل بعد ذلك راجعة الى منزلها .

ـ لقد مكثت فى مكانى حتى الثانية . ولم يتصادف اننىالتقيت باحد منهما فى اليوم التالى .

ـ عجبا ولكننى مع ذلك اعتقد انك تتوسع فى تفسير الأمور . ان المرء ليتستر على تصرفاته اذا ماكانت بالوضع الذى تصوره . هذه العلانية تباعد بينى وبين الاسترسال فيما تزعم .

ثم التزم ليمنج جانب الصمت ، ولم يتفوه بشيء حتى فرغا من شرابهما ، ونهض مبديا رغبته فى الانصراف .

وفى طريقهما الى منزل ليمنج ، واصلّ هذا صمته وتفكيره ،مما دعا فيريس أن يقول له ، مهما يكن من أمر ، فالمشكلة مشكلة مارك وليست مشكلتك .

ولكن ليمنج لم يكن يفكر فى مشكلة كيلستون وحده ، وان كان ماسمعه قد حرك نواحى أخرى فى ثنايا تفكيره . انها مشكلةالطيارين جميعا وما يصادفهم فى حياتهم الزوجيـــة من صـــعوبات عندما يقتربون عن منازلهم .

لقد كان ميشيل ليمنج قرير العين بحياته الزوجية السعيدة الهانئة . وهاهى ذى الآن قد تفككت وضاع منها بهاء تكاملها .. وهاهو ذا يرى من حوله الصخور الناتئة تهدد سلامة هذه الحياة. وهذه زوجته ميلانى تتجنبه وتعرض عنه وتقلب نعيمه جحيما ،مما حمله لاول مرة فى حياته على ان يتلمس عذرا لمغادرة المنزل هـربا من جوه الخانق .

وكان كل ماقالته له ميلانى عند عودته للمنزل :

ـ عشاؤك معد فى المطبخ .

وجلس الى مائدة عشائه وحيدا ،ثم قضى سهرته يراجع جداول مواعيد الطائرات ويعيد حساب ساعات العمـــل . فلما آوى الى فراشه قال لزوجته :

ـ ساتوجه لمقابلة ســـتر فيتش بعد ظهر باكر . انك تعـرفين من هو . انه مدير الخطوط . وكان ينظر الى زوجته محاولا ان يوحى اليها بأن هناك شيئا ما يجول بخاطره ، وان هذا الشىء يمس حياتهما معا ، وأنه لمصلحتهما ايضا .

فأدارت ميلانى ظهرها له قائلة :

ـ لك ان تفعل مايحلو لك . ان ذلك لايعنينى فى كثير او قليل.

***

حققت فيرونيكا براونلو بزواجها من الكابتن كيلستون كلّ ما كانت تبغيه من الحياة . لا لانها قد تزوجت من مارك بالذات ، ولكن لانها قد حصلت على الزوج فى شخصه ، وهذا بغية كل فتاة فى هذه الحيــاة .



وكانت فيرونيكا الفتاة ، جميلة فاتنة ، وهى الآن مثيرة بقوامها الفارع واناقتها الرشيقة . وكانت تنطق بالكلمة المناسبة فى الوقت المناسب ، كما كانت موضع اعجاب الجميع فى المنتديات ومحل ثقتهم ، لا تخشى فى الحق لومة لائم .

وكانت ترى فى زواجها زواجا موفقا . فقد هيأ لها مارك عيشة راضية مرتفعة المستوى ، أتاحت لها حياة اجتماعية تبادلت فيها السهرات مع كثير من الاسر فى تشارفيلد . وهى نفس الحياة التى تحبها فيرونيكا وتميل اليها . وعندما رزقت بمولود لم يمنعها هذا من مواصلة حياتها الاجتماعية ، بعد ان وفقت الى فتاة قروية ترعاه وتعنى بامره .

ولم يكن يضايقها شيء فى حياتها ، الا عزوف مارك عن التعرف باصدقائها . وعدم ميله الى الاندماج فى سهراتهم . ومهما يكن من امر عزوفه هذا ، فانها لم تتأثر به كثيرا ، لان طبيعة عمله كانت تقتضى غيابه عن منزله ، مما اتاح لها التمتع بكل محاسن الحياة الزوجية . وعدم التعرض كثيرا لمضايقاتها . وظلت هكذا سادرة فى تصورها الخاطيء ، حتى ادركت شيئا فشيئا ان مسالك الحياة تبتعد بكل من الزوجين عن الآخر ، وان كلا منهما ، هى ومارك ، يعيش عيشة منعزلة ، وان اظلهما سقف بيت واحد .

وسرها ماقرأته فى الصحف عن مارك بالنسبة لموضوع سانتا لوشندا . ووجدت فيما كتب عنه موضوعا للحديث فى حفلات الكوكتيل التى كانت تؤمها . كما وجدت فيه بابا مفتوحا لمبادلة زوجها الحديث فى موضوع جديد عند عودته . وكان أن بادرته قائلة ليلة عودته .

لم يدر بخلدى مطلقا اننى سأقرا عنك فى صحيفة « نيوز اوف ذى وورلد » كما أقرا عن كل من هو موضع تقدير وتبجيل . لقد اصبحت حديث المنتديات .

ولم تجب باكثر من ابتسامة مصطنعة .

وكانت الساعة قد جاوزت السابعة ، وكان ولدهما قد اوى الى فراشه . فتوجها الى غرفة الجلوس ؛ حيث قدمت اليه فيرونيكا قليلا من شراب الشيرى . وراحت تثرثر وتثرثر دون أن تتنبه لتجهم

وجه زوجها ، ولما توقفت عن ثرثرتها ، وكانت الساعة قد قاربت الثامنة ، قال لها مارك بكل هدوء :

ـ فيرونيكا .. أريد ان احصل على طلاقى منك .

وكانت تقف بجوار النافذة لتسدل ستائرها .. ولم يسمع فى مكانه من الاريكة ماينبىء عن وجودها اطلاقا . واستدار ليرى نظرة الفزع فى عينيها . ثم سمعها تقول له لاهثة :

ـ مارك ، ترى ماذا تعنى بقولك هذا ؟.

ـ الطلاق . يؤسفنى يا فيرونيكا .

ـ لماذا ؟ او هكذا فجاة ودون مقدمات ؟ ..

ـ ان زواجنا لم يكن زواجا موفقا .

ـ انك لم تقل ذلك من قبل .

ـ لم يكن هناك داع لهذا . اما الآن فقد تغيرت الامور ..

ـ حقا ، ان كلا منا كان يعيش كما يحلو له . ولقد حسبتك راضيا عن هذه الحياة .

ـ كنت راضيا لانها كانت السبيل الوحيد أمامى . وهذا لايمنع من ان زواجنا كان زواجا فاشلا . وجاهد أن تبدو كلماته رقيقة خفيفة الوقع ، وان كانت ترن فى اذنيها قاسية ثقيلة . ان كل ما كان يشعر به حينئذ ، انه كان يريد أن يتخلص من هذه الحياة ومن هذا الفراغ القاتل .

وما ان زال عنها اثر الصدمة الأولى ، حتى تركت مكانها واتخذت لها مجلسا على الاريكة فى طرفها الاخر قائلة فى حدة الغضب :

ـ فى الأمر امراة اخرى .. اننى واثقة من ذلك .

وبالرغم من أنه كان يائسا من فهمها لحقيقة الموقف ، الا أنه حاول جاهدا أن يوضح لها الامر فى تؤدة واناة . واضطر أن يصارحها أخيرا .

ـ اننى لم اتذوق من قبل مثل هذه السعادة . تلك السعادة التى منحتنى اياها كارينا .

ـ ولكنك لم تقل من قبل انك لم تكن سعيدا .

ـ اننى لم اكن احس بالحياة هذا الاحساس الذى يمكننى به

ان افرقَ بين السعادة والشقاء . ولكنني لم اكن راضيا عن حياتي في مجموعها .

ـ هذا الحديث عن السعادة ، أقرب ما يكون الى حديث الاطفال الذين يريدون أن يبلغوا القمر طولا ان كل ما في الامر انك فتنت بامراة ما . فلا ترهق نفسك بالتعمق .

ـ ان الامر ليس افتنانا او ولها .

ـ انني اراه كذلك . وخير لك ان تنتهي منه وتبتعد عما انت فيه من وهم .

ـ ان ما اريد ان انتهي منه هو زواجنا . اريد طلاقا .

ـ فيم كل هذا العناء لديك غير وسيلة ؟.

ـ ليس من سبيل الا الطلاق . فيرونيكا .

فضحكت . واهتزت نبرات صوتها وهي تقول ساخرة :

ـ اذن فهي لن ترضى باقل من خاتم الزواج .. قل لها بصراحة أنها لن تفوز به . كلا .. لن تفوز به منك بالذات .

ـ ارجوك يا فيرونيكا .

ـ اذهب اليها حيث كانت .. هذا كل ما تستطيع أن تفعله الآن أهي من السذاجة بحيث لا تفهم ؟ لعل أسرتها .

ـ ليس لها اسرة في هذه البلاد ، وهي ممنوعة من دخولها لاسباب سياسية .

ـ اذن ، فهي اجنبية غير مرغوب فيها .

ـ كان شقيقها نازيا .. أما هي فلم تكن .

ـ ولذلك تريد أن تتزوج منها لتكتسب الجنسية البريطانية . لابد وانك قد فقدت عقلك .

وحاول ان يقنعها انها بطلاقها منه لن تتأثر ماليا . فلما استفسرت منه عن مضير ولدهما جون ، قال لها انه يرغب في الاحتفاظ به . فابتسمت ساخرة وهي تقول له :

ـ انك تريد كلّ شيء لنفسك . اليس كذلك ؟.

ـ من حقك ان تحتفظي به . سيان عندي .

ـ سيان عندك او عندي .. يجب أن تعلم انك لن تحصل على

هذا الطلاق ، وان جون سيبقى معى ؟ وانك تجافى الصواب بكل ما تعتزم وتقول :

ـ اعرف ذلك بناء على تقاليد المجتمع ووجهة نظره .

ومرت بهما ثلاث ساعات فى مناقشة لم تنقطع . ولم تحاول فيرونيكا أن تخفى غضبها واحتقارها لتفسيراته وتحليله لموقفه .. وكان يقابل هذا منها فى صبر واناة لانه كان يدرك تمام الادراك ضعف مركزه من جميع النواحى حتى القانونى منها . وحاول بكل ما فى وسعه ان يقنعها بانه لا جدوى من حياتهما الزوجية ، ضارعا اليها احيانا ، مرغبا أحيانا اخرى بكل المغريات . ولكنها أصرت على موقفها رافضة كل العروض .

ـ لا جدوى من الاسترسال فى محاولتك هذه . انك زوجى . ويجب ان تعلم ـ انك لن تكون بحال ما زوجا لغيرى .

- ٣ -

جلس مستر فنش الى مكتبه راضيا عن نفسه قرير العين بحياته . وكانت الساعة لم تتجاوز بعد التاسعة والنصف صباحا ، عندما سمع رنين التليفون ورفع السماعة وانصت لصوت نسائى يسأل عن مدير خطوط وسط الاطلنطى . ولما اجاب بأنه هو المتحدث طلبت اليه صاحبة الصوت ان ينتظر قليلا . وبعد عدة اتصالات على طرف الخط الآخر قيل له اخيرا :

ـ سيتحدث اليك رئيس مجلس الادارة فى مدى دقيقة .

وانتظر وهو يتساءل عما حدا برئيس المجلس ان يتصل به فى تلك الساعة المبكرة بالنسبة لطبيعة العمل . وأخيرا بادره الرئيس قائـــلا :

ـ اسعدت صباحا .. لدى انباء سارة لك يا فينشى .

ـ ترى ماذا عساها ان تكون يا سيدى ؟.

ـ اعتقد انك ستسر بها . انها عن المحطة الليلية فى جزر الآزور

فاستقرت عينا فيتش على مكان جزيرة سان ميجول من الخريطة . ثم سمع رئيس مجلس الادارة يستطرد قائلا :

ـ ان هذه المحطة الليلية يا فيتش تتكلف كثيرا .

اننا ندفع حوالى تسعة آلاف جنيه للفنادق حرصا على راحة الركاب وطاقم الطائرات .

ـ انه مبلغ طائل . . ماذا ترى فى ضغط هذه النفقات ؟.

ـ انه راى سديد . ترى ماذا يدور بخلدك ؟.

وشرح له الرئيس وجهة نظره ، وناقشه فيتش فيها . واخيرا سأله الرئيس ان يبحثها مع الطيارين ، وبذلك انهى محادثته التليفونية ، تاركا فيتش غارقا فى افكاره وقد زايلته حالة الرضا التى بدا بها صباحه . لأنه كان يعلم مدى صعوبة ما عهد به اليه ، وأنه ليس من اليسير أن يوفق بين ما يرضى به الطيارون وما ترضى به الادارة . وقضى يومه كله يقلب الأمر على كل وجوهه . ولم ينصرف ذهنه فى تفكيره عن حادث اختفاء الطائرة بالقرب من جبل طارق منذ عامين ، وما قيل حينئذ عن سبب وقوعه وتعليل هذا بأن الطيار لم يكن قد نال قسطه من الراحة . ولم يستطع اطلاقا ان يبعد هذا الحادث عن خاطره .

وانتهى أخيرا الى انه يجب ان يرجع فى ذلك الى آراء جميع الطيارين ، من يثق بهم ومن لا يثق بهم . واقبلت سكرتيرته فى ساعة تناوله شاى بعد الظهر لتعلن اليه أن الكابتن ليمنج فى الخارج يرجو مقابلته . فأذن له بالدخول ورحب بمقدمه ، لأن فى هذه المقابلة ما يخلى بينه وبين ما يشغل فكره . . ولان ليمنج من الشخصيات المحببة الى نفسه .

وبعد ان استقر بليمنج المقام ، ساله فيتش عما اتى به ، قال له انه قدم ليتحدث اليه بشأن الاماكن الخالية فى طائرات الشركة فى غدوها ورواحها . وسر فيتش بهذه الروح الطيبة وتأمله قائلا :

ـ اعرف هذا يا ميشيل . ولكن بربك قل لى ماذا بوسعنا ان نفعل علاجا لهذه الحالة ؟.

ـ ليس هناك من علاج مبدئي الا بالغاء المحطة الليلية بجزر الآزور وبذلك يمكن اقتصاد مبلغ كبير ، علاوة على مايتوافر نتيجة لهذا من وقت . ومن المفروض يا سيدى ان بضاعتنا هي السرعة .

ودهش مدير الخط ، حتى أنه لم يصدق اذنية في اول الامر ، انه يسمع من احد الطيارين اقتراحا مماثلا لما سمعه من رئيس مجلس الادارة . فقال له مستفسرا ليتأكد مما سمع :

ـ المحطة الليلية في الآزور ، هل ترى انه يمكن الاستغناء عنها ؟.

ـ لقد خيل الى ان الاقتراح قد يروق لكم ، الا اذا كنت ترى ...

ـ مهلا ، مهلا .. من قال ان الاقتراح لا يروق لى ؟ . انها فكرة صائبة ولكن كيف يمكن تنفيذها ؟.

ـ بمواصلة الرحلة رأسا .

ـ كيف ؟ هذا يعني يوما كاملا . بليله ونهاره ، من العمل بالنسبة لطاقم الطائرة .

ـ ولم لا يكون ذلك ؟.

ـ لا بأس . يطيب لى ان اسمع هذه الاقتراح منك بالذات . وساتولى عرضه بكل ما في وسعي من تأييد له .

ـ انه جدير بتأييدك . لانه سيوفر الكثير من الوقت والمال .

ـ ترى ما هو راى سائر زملائك من الطيارين ؟.

ـ لقد تحدثت في ذلك مع فيريس وقد وافق على الفكرة مبدئيا وانا واثق من ان زملائي سيكونون من هذا الراى .

وطال بهما الحديث ساعتين كاملتين ، استعرضا فيهما معا ، الموضوع من جميع زواياه . ثم نهض ليمنح مستأذنا في الانصراف وترك فيتش سعيدا قرير العين مرة اخرى ، بعد ان وجد فيما عرضه عليه ، مايقربه من رغبة رئيس مجلس الادارة .

ومرت الايام ، وجلست ميلاني تراقب زوجها وهو يعد نفسه لاستئناف عمله بعد انتهاء اجازته. وتنازعت نفسها مختلف العواطف من خيبة الرجاء في حبها ، الى الاسف لما جرى بينها وبين زوجها لقد تعرضت حياتهما لأول عاصفة من نوعها . لطالما دللته ولطالما

قامت على خدمته وارضاء نزواته ، مدفوعة بحبها الشديد له .
وقبل أن يغادر المنزل ، قال ليمنح لزوجته فى بشاشة :
ـ آن الأوان لانطلق الى عملى ..
فقالت له :
ـ هذا ما أراه فعلا .
وودت لو ضمته بين ذراعيها ووضعت بذلك حداً لكل شىء .
ولكن كبرياءها ابت عليها هذا . واقترب منها ليقبلها مودعا . فادارت اليه جانب وجهها شاحبا باردا . وغادر منزله مغموما محزونا .

ولم يطاوعها قلبها أن تراه فى هذه الحالة من الأسى والضيق ، فنادته قبل ان يجتاز باب الحديقة الخارجى فتوقف واستدار ليراها مقبلة عليه وقد عادت لوجهها بشاشته وحنانه ، فألقى بالحقيبة التى كانت فى يده ، وتلقاها بين ذراعيه فى دفعة الحنان والحب . وغمر وجهها بقبلاته ، وشعر كل منهما بزوال كل اثر لما كان بينهما فى الأيام الأخيرة من توتر ، وعاد لينصرف سعيدا راضيا قرير العين ، وعادت هى الى منزلها ، لتتنسم فيه مرة أخرى جو الهناء والنعيم .

وعلى بعد نصف ميل من هذا البيت السعيد ، كان هناك بيت تسير فيه أحداث الحياة على العكس من ذلك على خط مستقيم ، حيث انهارت الحياة الزوجية لأسرة كيلستون بأسرع مما كان متوقعا لها . ففى صباح هذا اليوم بالذات ، قالت فيرونيكا لزوجها مارك :
ـ عتقد انه لا جدوى من اطالة الحديث فى هذا الموضوع .. لأن الامر كما يبدو لى ليس نزوة عارضة .
ـ تلك هى حقيقة الأمر فعلا .
ـ وهذا ما اعتقده فعلا . اذ يبدو لى أنها أحكمت القاء شباكها حولك .
ـ لك أن تفسرى هذا كما يحلو لك . والمهم انك يجب ان تعلمى اننى احبها فعـــلا .
ـ ان هذا ليس من شانى . ولكنك يجب أن تعلم انت ايضـا انك لن تحصل على ما تنشد من طلاق . كما يجب أن تعلم اننى لن اعيش فى هذا البيت بعد ذلك . ولا ولدنا جون .
وبدات تعد العدة بعد ظهر ذلك اليـوم لترحل هى وابنها الى

منزل والديها فى لندن . ثم دخلت فى تفاصيل ما سيخصصه لها زوجها من نفقات ، ودهشت لما وجدته منه من سخاء وبذل .

وقالت لزوجها ، قبل أن تغادر منزل الزوجية فى صباح اليوم التـــالى .

ـ عندما يعود اليك عقلك .. فانك تعرف اين تجدنى .

واحتضن مارك ولده وقبله بادى الأسى . اما فيرونيكا فقد رآها تخرج من حياته بارتيـــاح كبير . فقد كان يشعر فى الأيام القليلة الاخيرة ، بثقل وطأة هذه الحياة التى لم يكن يسودها التفاهم بينهما منذ بدايتها . ووقف يتابع ببصره السيارة التى أقلتها الى محطـة السكة الحـديد ، حتى اختفت بفيرونيكا عن ناظريه مع انحراف الطريق .

وقبل ان يستأنف عمله فى يوم الخميس التالى ، اخلى الشقة التى كان يستأجرها ، وأودع أثاث منزله احد المخازن ، وتوجه الى لندن ليبحث عن غرفة تصلح سكنا له . وكان راضيا قرير العين لتخلصه من هذه الحياة الزوجية التى كانت تبعث فى نفسه الملل ولم يكن فيها ما يجب ان يكون من تفاهم وتعاطف بين الازواج . اما عن الطلاق . فقد كان يرجو أن تغير فيرونيكا رايها فى يوم من الأيام كما كان دابها من قبل .

ثم توجه الى ادارة الاجانب ، ليبحث موضوع السماح لكارينا بدخول انجلترا . واتضح له ان الامر يحتاج الى بحث قد يستغرق وقتا طويلا . الا ان ذلك لن يحول دون رؤيته لها فى مراحل طيرانه أما ما ينتظره من نعيم مقيم ، فيساوى عنده كل ما يجب ان يتذرع به من صبر وطول أناة .

الجزء الثالث

نهاية ربع الدائرة
الجنوبى - الشرقى
٢٠ اكتوبر - ٢٦ نوفمبر

- ١ -

عرض فيتش على الطيارين اقتراح ليمنج بشأن زيادة ساعات الطيران المتواصل والغاء المحطة الليلية فى جزر الآزور ، وطاب نفسا عندما وافقوا الواحد بعد الآخر على هذا الاقتراح دون معارضة او تذمر .. ولم يبق غير كيلستون الذى لم يستطع فيتش الاتصال به .

ولما كان رأى كيلستون من الاهمية بمكان ، فقد حرص فيتش على الحضور مبكرا فى يوم الخميس المعين لخدمته . ودهش عمال غرفة العمليات عندما فاجأهم مدير الخط بحضوره فى هذه الساعة المبكرة من صباح يوم من ايام نوفمبر الشديدة البرودة وعلم منهم أن كيلستون موجود عند الطائرة « ايزى فوكس » .

وتوجه فيتش الى حيث التقى بكيلستون ، وسأله عما اذا كان بوسعه ان يخصص له بضع دقائق من وقته ، فأجابه الآخر بأن امامه ست ساعات قبل ان ينطلق بطائرته لاجراء بعض الاصلاحات بها . وعقب على هذا قائلا :

ـ كان المفروض ان أطير في التاسعة .. ان هذا التأخير سيحرمني من نصف راحتي الليلية في جزر الآزور .
ـ اذن ، فانت ترى ان هذه المحطة الليلية لاغنى عنها ؟.
ـ انها من الاهمية بمكان .
ـ عجبا ! ان جميع زملائك من الطيارين يرون غير هذا الرأي .
ـ علمت بذلك .
ـ كنا نرجو ان نستغنى عنها .. انك تعرف ما تتكلفه من نفقات .
ـ لقد سمعت بهذا ايضا .. غير ان لدى من الاسباب ما يبرر وجهة نظرى . اولا ، انه ليس من اليسير على الطيارين ان يواصلوا الطيران مدى اربع وعشرين ساعة دون راحة معقولة . وثانيا ، ان طائرات المارلبورو من طراز قديم بحاجة الى تفتيش دقيق على محركاتها في منتصف المسافة .
واستأذن كيلستون لبعض دواعى العمل . وفهم فيتش من هذا انه غير راغب في اطالة الحديث . وبينما كان كيلستون في طريقه الى غرفة العمليات ، توقف فجاة والتفت الى فيتش قائلا :
ـ مهما يكن من امر ، فبودى ان اشير عليك . بالا تنتظر الكثير من ملاحيك . ولا تبالغ في ثقتك بطائرات المارلبورو . اننا لا نريد « جبل طارق » آخر .
فاحتقن وجه فيتش قائلا :
ـ لست ارى علاقة بين ماكنا نتحدث به وبين حادث جبل طارق .
ـ ان سبب هذه الكارثة اما ان يكون راجعا الى عيب في الطائرة او في الملاحين .
ثم مضى في طريقه الى غرفة الارصاد تاركا مدير الخط في حيرة من أمره .
ولم يستطع فيتش ان يتحمل مسئولية البت برأى قاطع في موضوع الغاء المحطة الليلية ، لأن اعتراض كيلستون اثار في نفسه الشكوك والمخاوف ، وبعد ان خيل اليه ان الموضوع لم يعد بحاجة الى بحث او تفكير امام اجماع سائر الطيارين ، اعادته معارضة كيلستون وملاحظاته ليبدأ من جديد .

وفى يوم الثلاثاء التالى ، بعد تناوله طعام الغداء ، تلقى مذكرة من ادارة العلاقات العامة بالشركة ، مرفقا بها الشكوى المقدمة من مسترباركنسون ، السياسى المعروف ، والمتضمنة رأيه فى كيلستون على اثر ما قام به من تعريض ركاب الطائرة للخطر ، عندما اندفع بطائرته فى غمار العاصفة لاغاثة احدى السفن البرتغالية . وقد راى الشاكى ان كيلستون لا يصلح بحال ما لقيادة الطائرات .

ولم تكن هذه الشكوى هى الأولى من نوعها ، والتى تبعث بها ادارة العلاقات العامة لمستر فيتش ليتولى فحصها ، مما كان يقدم من المسافرين بين الحين والآخر ضد مختلف الملاحين . ولكن مستر باركنسون رجل له نفوذ ، مما يجعل لشكواه اهمية خاصة ، علاوة على ما ورد بها من اتهام خطير لقائد الطائرة بتعريضه حياة الركاب للخطر . ولذلك قرر مستر فيتش ان يحيل الشكوى الى قائد التدريب لفحصها .

وما ان انتهى من استيعاب ماورد بهذه الشكوى ، حتى طلب اليه ان يتخذ اللازم مع مهندس يدعى كرايفيلد ، نسب اليه انه اصطحب امرأة الى غرفته بفندق ساراسين فى الساعة الرابعة صباحا . وقد طلبت ادارة الفندق من الشركة البحث عن مكان آخر ينزل الملاحون به محافظة على سمعة الفندق وحرصا على راحة نزلائه .

واطلع فيتش على ملف خدمة المهندس المذكور قبل ان يستدعيه لمقابلته . ولاحظ أن سجل خدمته بالشركة يؤيد هــذا التصرف المعيب منه . كما وجد به ما يدل على أن كيلستون سبق له أن قدم تقريرا ضده بشأن عدم كفاءته قبل ذلك بشهرين فقط .

وما ان اقبل كرايفيلد عـلى فيتش ، حتى راى فيه شكلا ، ما يؤيد كل ما قيل عنه ونسب اليه . ومما زاد الطين بلة انه لم ينكر شيئا مما ورد بشكوى الفندق ، الامر الذى دعا فيتش ان يلقى على مسامعه محاضرة شديدة اللهجة عن ضرورة المحافظة على اسم الشركة وسمعتها .

واستشاط المدير غضبا عندما وجده لا يبالى بالاصغاء الى تلك المبادىء الاخلاقية ، وتنفرج شفتاه عن ابتسامة ساخرة ضاعفت من ثورة فيتش الذى قطع محاضرته قائلا فى حدة :

ـ ترىَ ماذا يضحكك يا مستر كرايفيلد ؟ اخبرني حتى أشاركك سرورك ؟.

ولكن الرجل ظل محافظا على ابتسامته ، مما حدا بفيتش أن يعيد سؤاله بصوت مرتفع أكثر حدة . واخيرا تنازل كرايفيلد بالرد قـــائلا :

ـ ان ما ينسب الى ليس بشيء اذا ما قيس بما يفعله غيرى . لماذا لا توجه هذا اللوم الى الكبار ؟.

ـ ماذا تعني بقولك هذا ؟.

ـ اعني تصرفات الكابتن كيلستون في جزر الآزور .

ولم يعقب فيتش بشيء . وآثر أن يلتزم جانب الحرص لأنه كان يعرف من تجاربه الطويلة ما انطوت عليه نفوس البشر من حب الاساءة للغير تبريرا لأخطائهم ، وبالذات في هذه المسالة المعروضة أمامه ، بعد ما اطلع على التقرير المقدم من كيلستون ضد هذا الرجل الماثل أمامه . فاتكأ بمرفقيه على المكتب الجالس اليه قائلا :

ـ من واجبي أن أنبهك الى ان كل ما ستقوله سيؤخذ عليك . وعليك أن تفصح عما تحدثت به والا ...

ـ الرجل الحديدى . ليس لدى الكثير مما يفصح عنه .. كل ما في الأمر ان الكابتن كيلستون يلوذ بغرفة الكابتن معتكفا مع احدى الفتيات بمجرد وصوله الى فندق كاريراس . حتى وجبات طعامه ترسل اليه في غرفته .

لقد كنت ضمن طاقم طائرته اخيرا . وشاهدت كل ذلك بعيني رأسي .

فاستبدت الدهشة بفيتش ، وحملق في وجهه غير مصدق لما سمع ـ فرفع المهندس كتفيه في عدم اكتراث ، مؤكدا له أن هذه هي الحقيقة المجردة . وبالرغم من ذلك ، فان فيتش لم يزل غير مقتنع بما ســــمع ، ولم يخف شكه عن كرايفيلد ، مؤكدا له انه سيتحقق من الأمر بنفسه . مختتما كلامه :

ـ ومهما يكن من أمر ، فان أخطاء الغير لاتبرر اخطاءنا . وليكن

فى علمك ان الشركة ستستغنى عن خدماتك اذا ما بلغت باية شكوى ضدك .

وبعد انصراف المهندس ، توجه فيتش فورا الى مكتب رئيس الطيارين ، حيث أخبر فيذرستون بكل ما وصل الى علمه ولاحظ انه لم يفاجأ بما سمعه . وكان كل ما قاله تعليقا على ذلك :

ـ كنت اتوقع ان تسمع بهذا الموضوع فى يوم من الايام .

ـ اذن فقد كنت تعلم ؟.

ـ اجل .. ان مثل هذه الامور لا تخفى على احد مهما ...

ـ منذ متى بدات هذه القصة ؟.

ـ منذ حادث الباخرة البرتغالية . حوالى الشهر تقريبا ، حين تخلف كيلستون ثلاثة ايام فى جزر الآزور . لعلك تذكر العطب الذى اصاب مؤخرة الطائرة « ايزى زيرا » ؟ .

ـ كيف لا اذكر هذا ؟.

فضحك فيذرستون قائلا :

ـ وما اظنك ستنساه بعد ذلك .

ـ انني دائما آخر من يعلم . ترى لماذا لم تتقدم ادارة الفندق بالشكوى .

ـ لأن كيلستون قد اصبح بطلا محليا بعد حادث السفينة سانتا لوشندا .

ـ ان له زوجة وابنا .

ـ اعرف ذلك . كان يجب عليه ان يستتر على الأقل .

وعاد فيتش الى مكتبه ليتدبر الأمر من كل نواحيه . وبعد ان انتهى من عمله اليومى ، راى ان يمر بغرفة العمليات قبل عودته الى منزله . وهناك التقى بليمنج الذى كان يستعد للطيران . ولما استفسر منه عن سبب عدم قيامه فى موعده المعين . علم منه أن محركات الطائرة كان بها عطل استدعى بعض الاصلاح .. وما ان سمع ذلك حتى استبد به القلق لأنه تذكر فى الوقت نفسه ما كان من عطل آخر فى الطائرة التى كان سيسافر بها كيلستون يوم الخميس السابق . وناقش ليمنج فى هذا ، ولكنه طمأنه وشرح له انها مسائل عابرة . ثم عاد فيتش ليستفسر من ليمنج عن صحة

ما وصل الى علمه خاصا بكيلستون ، فاكد له صحة هذه المعلومات وحياه مودعا .

وبدات الصورة التى رسمها فيتش عن كيلستون ، تهتز ويختلط عليه امرها فى ذهنه . وازداد حنقا عليه عندما تحقق بعد ان وضع النقط على الحروف - من ان معارضة كيلستون الوحيدة فى الغاء المحطة الليلية ، كانت مفرضة لاتقوم على اساس من المصلحة العامة كما كانت ستارا لاخفاء مصلحته الشخصية .

- ٢٠ -

جلست مس ليبى شالونير ، المضيفة ، فى المقعد الخلفى بالطائرة ايزى زيرا تتأمل حذاءها ، بينما كانت الطائرة تنطلق من مطار لندن وكان ذلك منها على اثر ما ابداه زميلها المضيف ، مستر اتكنس ، عن عدم صلاحية الحذاء للسير به فى الطائرة .

وكان ليمنج سعيدا منشرح الصدر ، بعد ان انتهى ما كان بينه وبين زوجته من سوء تفاهم ، اتضح انه لم يكن باكثر من زوبعة فى فنجان . وكان فى طريقه الى مدريد وقد ترك مقعد القيادة ليتبادل الحديث مع الركاب ويجيبهم علـــى ما يسالون . وقد سرهم ان يسمعوا منه انه لا يعتزم التخلف فى جزر الآزور اكثر من الساعة التى يستغرقها تزويد الطائرة بالوقود . وكان هــذا هو تصميمه ليثبت لمستر فيتش صحة رأيه فى امكان قطع المسافة من لندن الى برمودا ، دون حاجة للتخلف الليلى الطويل فى جزر الآزور . ثم انتقل الى مؤخرة الطائرة حيث وقع نظره لاول مرة على المضيفة . وكانت تعد بعض المشروبات للركاب . ورآها فتـــاة فى الرابعة والعشرين من عمـرها ، شقراء زرقاء العينـين ، هيفاء متـسقة التقاطيع . فسألها :

ـ انك حديثة عهد بالخـدمة ؟ » وكان يعرف ان اسمها مس شالونير « .

ـ اجل يا سيدى .

ثم اشار الى حذائها قائلا ؟

ــ هذا الحذاء لا يصلح للخدمة ».

فضحكت قائلة :

ــ هذا ما قاله لى زميلى المضيف ».

وعاد ليمنج ليتأملها معلنا لها انهم لن يتخلفوا طويلا فى جزر الآزور ، كما كان قد اعلن ذلك من قبل الى سائر افراد الطاقم الذى يعمل معه (باتس وتمبرلى ودرابرود ربويت) .

وكانت المحطات الست ، الواقعة فى طريق الطائرة ايزى زيرا ، قد اخطرت بتأخرها فى القيام . ولم يكن دادلى مدير المحطة فى جزر الآزور مرتاحا لهذا التأخير الذى تكرر فى هذه الايام . وما ان اخطر باشارة من ليمنج انه لن يتخلف للراحة بالجزيرة ، حتى زال عنه ما به من سخط وقلق ، مقدرا للطيار هذه الروح الطيبة .

وفعلا انطلق ليمنج بطائرته ايزى زيرا بعد ظهر هذا اليوم ؟ بعد استراحة قصيرة فى طريقه عبر المحيط الى برمودا .. وكان منشرح الصدر سعيدا بصفاء السماء وبصفاء نفسه .

وانطلقت ايزى زيرا على متن الهواء ثابتة فى انسياب سيارة كاديلاك على ظهر ارض منبسطة . وترك ليمنج مقعد القيادة الى مقصورة الركاب . وانتهز سائر افراد طاقم الطائرة الفرصة ليتبادلوا من اطراف الحديث ما شاء لهم دون رقيب يخشونه .

وفجاة اشتم باتس رائحة غريبة بينما كان معنيا بمراجعة ما امامه من خرائط ومقاييس ملاحية . وسأل دربويت عن ذلك ، فعارضة فى اول الامر متهكما ثم عاد فوافقه عندما تبين صحة ما انباه به باتس .

وازدادت الرائحة نفاذا الى انف باتس ، فالقى بالقلم الذى كان فى يده ونهض عن مقعده ليتبين حقيقة الامر . ولم يكد يخطو خطوتين حتى سمع انذار الحريق يدق فى مقصورة مهندس الطائرة الذى صاح بصوت أجش مضطرب قائلا :

ــ ان النار مشتعلة فى مقصورة متاع الركاب الأمامية . ارجوك أن تخطر الربان بذلك .

واندفع باتس مسرعا الى مقصورة الركاب ، واقترب من ليمنج الذى كان يتجاذب اطراف الحديث مع اثنين من الركاب ،وأسر اليه بالخبر . ولكنه لم يعد بحاجة الى اخفاء الأمر ، بعد ان راى الدخان يتسرب الى مقصورة الركاب .

واسرع الرجلان الى المقـدمة ، وقفز ليمنج الى مقعده صائحا :

ــ هبوط اضطرارى .

وتوقفت المحركات . وخيم سكون مطبق مروع على الطائرة ومن فيها . واندفعت ايزى زيرا هابطة بمقدمتها الى أسفل .

وفى صوت اهتزت نبراته من اثر الصدمة . راح ليمنج يصدر أوامره بما يجب ان يتخذ من اجراءات فى مثل هذه الأحوال . ثم سأل درابر ان يبعث باشارة الاستغاثة بعد تحديد الموقع من باتس واعلن لمعاونيه انه يهبط بالطائرة الى مياه المحيط .

ولكن الطائرة بعد ذلك بنصف ساعة . لم تزل سابحة فى الفضاء فوق مياه المحيط القاتمة . وبدأت الامور تستقر بها نسبيا بعـد ما شملها من فوضى وذعر . وخفت كثافة الـدخان . وعاد دربويته ليعلن لقائده ان النار قد اخمدت نهائيا . وانتعشت نفوس الملاحين اطمئنانا وحمد الكابتن ربه ، وهـو يعود للارتفـاع الى اربعة آلاف قــدم .

ولما استفسر من مهندس الطائرة عن سبب الحريق ، علم منـه أنه ماس فى الاسلاك الكهربائية وان البطاريتين قد تعطلتا عن العمل فسجهم الكابتن قائلا :

ــ كيف ؟ الا يمكن تشغيل واحدة منهما على الأقل ؟.

ــ كلا ، لقد أتت عليهما النار .

ــ ولكن ذلك يعنى توقف جميع الخدمات الكهربائية .

ــ اعرف هذا ياسيدى ، ولكننى لااجـد اية وسيلة لمعـالجة هذا المـوقف .

وحاول ليمنج ان يجد مخرجا من هذا الشلل الذى اصاب جميع الأجهزة الكهربائية بالطائرة ، ولكنه وجد نفسـه عاجزا عن التفكير نتيجة لما كان يشعر به من اعياء بعد استمراره فى العمل مايقـرب من العشرين سـاعة .

ولكنه يجب أن يفكر ليجد مخرجا من ورطته هذه . ويجب أن يجهد ذهنه المكدود ليلتمس أفضل السبل التى يهتدى بها فى طريقه الى برمودا بعد أن تجردت الطائرة من كل وسائل الاتصال اللاسلكية ولم يعد يستطيع أن يعتمد الا على البوصلة ومؤشر السرعة وقوة ابصاره . وعليه أن يهتدى بالنجوم فى طيرانه . والنجوم تحجبها عنه تلك الطبقات من السحب التى يتعين عليه اختراقها صاعدا حتى يرى النجوم التى ترشده الى جزيرة برمودا . تلك الجزيرة التى كان يرى الاهتداء اليها فى كل هذه الظروف المحيطة به ، تماما كالاهتداء الى ابرة رفيعة فى كومة من القش .

وأقبلت المضيفة تسأله عما عساها ان تخبر به الركاب .وكان ليمنج قد نسى أمر الاربعين راكبا فى غمار ماامر به وما يمر به من أحداث . وطلب اليها أن تخبرهم بأن كل شيء على مايرام مؤقتا .

وانقضت ساعة لم يستطع فيها ضابط الأرصاد أن يتبين شيئا مما حوله ، اذ كانت الطائرة ايزى زبرا تشق طريقها فى لجة من ظلام السحب الذى يلفها من كل جانب . واضطر اخيرا أن يصارح قائده بذلك قائلا :

ـ لامعدى لنا عن محاولة اختراق هذه السحب صعودا حتى تنكشف لنا النجوم التى ستكون سبيل ارشادنا الى برمودا .

وكأن ليمنج كان ينتظر منه ذلك ليخرجه من تردده . وبعد أن اعلن لمهندس الطائرة عزمه ، حرك عجلة القيادة متجها بها الى أعلى .

وشقت الطائرة طريقها بين السحب . وعندما بلغت فى ارتفاعها ٧٠٠٠ قدم ، بدأت طبقات الثلج تتبلور على جناحيها ومقدمتها . ثم واصلت طريقها صعودا حتى بلغت ٩٠٠٠ قدم دون أن تتكشف السماء لهم . واعلن مهندس الطائرة ان استهلاكها للوقود يتضاعف لزيادة حمولتها نتيجة للثلوج المتراكمة عليها .

ولكن ليمنج ازداد بها ارتفاعا حتى قطع ٤٠٠٠ قدم اخرى اعلن فى نهايتها انه لن يستطيع بحال ما الارتفاع الى اكثر من ذلك . انها تطير الآن على ارتفاع ١٣٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وحاول ضابط الارصاد ان يتبين شيئا دون جدوى .

واخيرا لاح له بريق الأمل مع هذا الخيط الرفيع من الضوء البادي من بين ثنايا السحب . ولم يصدق عينيه في اول الأمر ، وخيل اليه انه من نسج خياله . فعاد يحدق النظر غير واثق مما يرى فلما تثبت من ان هذا الخيط الرفيع هو القمر هلالا ، نادى قائده مبشرا فرحا وامن هذا على قوله مؤكدا . وقام باتس الى خرائطه ومنظاره ومقاييسه يخطط ويراجع ويقيس ، حتى امسك اخيرا بطرف الخيط الذي يمكنه ان يتعلق به . وتبادل المعلومات مع الكابتن الذي اصدر اوامره بدوره الى الضابط الاول .

وبعد حوالى نصف ساعة من الطيران على مستوى واحد بعد الانحراف ٣٠ درجة مئوية الى الشمال ، قال باتس :

ـ اننا على بعد خمسة عشرة ميلا من الخط الصحيح . فاذا ما انحرفنا الى الجنوب الغربي ، امكننا أن نعتدل في الاتجاه المناسب .

وصدع الضابط الاول بما امر به من تغيير الاتجاه . ثم امره الكابتن بالهبوط من هذا الارتفاع الشاهق حتى يصل الى ٨٠٠٠ قدم . واستفسر من باتس عما اذا كان لايزال يرى القمر فأجابه هذا بالايجاب . وبعد قليل امر الكابتن الضابط الأول بالهبوط حتى يصل الى ارتفاع ٢٠٠٠ قدم . وعندئذ حجبت كسف السحاب القمر مرة اخرى وبدا تساقط الأمطار ، وواصلت الطائرة سيرها على غير هدى من نقطة ارتكاز تسترشد بها .

واسقط في يد ليمتج . وبدا يفكر في الوسيلة التي يدخل بها الخبر على الركاب ليحيطهم علما بخطورة الموقف . واقلع عن التفكير في اى شيء آخر يائسا قانطا .

وعندما بلغت به نفسه تلك المرحلة التي لاتدانى من اليأس والقنوط ، والتي يتوقف عندها العقل البشرى عن التفكير والتدبير ، سمع اصوات معاونيه تصيح منفعلة مهتزة النبرات :

ـ اضواء ، اضواء !.

واندفع هو وباتس لينضما الى الثلاثة الآخرين في مقدمة قمرة القيادة ، والتصقت جباه خمستهم بزجاج نوافذها ، محدقين النظر في خط الأضواء المحيطة بميناء هاميلتون .

- ٣ -

وضاعف هذا الحادث من التقارير المقدمة لمستر فينش فى لندن وايد مهندسو المطار فى برمودا ما علل به مهندس الطائرة ابزى زبرا أسباب الحريق بها ، وطالب الفنيون بضرورة اعادة النظر فى بعض التصميمات الداخلية بطائرات المارلبورو .

وتاخر قيام الطائرة عن موعدها ريثما يتم اصلاح ما بها من عطب بمطار برمودا ، والتقى كيلستون ، الذى سيواصل الرحلة بالطائرة من برمودا الى بناما ، بليمنج فى الفندق واحاط بكل تفاصيل الحادث منه . وصارحه ليمنج بكل ماتعرض له من يأس وقنوط ، وساله كيلستون عما حدا به الا يتوقف فى جزر الآزور كالمعتاد .

فقال له هذا انه كان يحاول بذلك تعويض تأخيره فى القيام من مطار لندن . واعترف ليمنج لزميله بانه لم يزل متأثرا بملابسات هذا الحادث ، غير مصدق أنه انتهى بسلام .

وكانت ليبى شالونير ، المضيفة ، هى الوحيدة ، من بين افراد طاقم الطائرة ، التى لم تتأثر بهذا الحادث . ولم يكن من يقع نظره عليها ليحسب أنها مضيفة ، لولا انها كانت تنضم لأفراد الطاقم عند تناولهم الطعام . وكانت تقبل على قاعة الطعام باسمة تتمايل فى دلال وتيه بقوامها اللدن .

وكان ليمنج يتأملها باهتمام بادى . وكان يرى فيها مادة ملطفة لما استبد به من قلق ، وماجثم على صدره من هم نتيجة لما تعرض له ، ومما اثقل عليه وامضه ، مصارحة باتس له بانهم ماكانوا يتعرضون لما تعرضوا له ، لو أنهم تخلفوا كالمعتاد فى جزر الآزور .

وكان هناك غناء راقص فى هذا المساء . واقبلت ليبى شالونير فى ثوبها الأسود ، ابهى ماتكون فتنة وجمالا ، يفوح شذى عطرها فتهدا له النفوس وتستكن . وراقصت الجميع ، ولم تكن لتستقر على مقعدها ، حتى تنهض ملبية دعوات الرقص التى تنهال عليها .

واقبل ليمنج على القاعة متأخرا ، وجلس يراقب الراقصين متتبعا المضيفة ومن يزاملها ، واخيرا قال لها ، ولم تكد تستقر فى مقعدها :

ـ لقد راقصت جميع الحاضرين تقريبا . ماقولك فى أن تحاولى ذلك معى ؟.

ـ بكل سرور ياكابتن .

وما ان شرعا فى الرقص ، حتى تبدل حالها فجاة وسمعها تقــول له :

ـ كنت أرجو أن تطلب منى مراقصتك يامبشيل .

ثم استطردت فى أحاديث من هنا وهناك ، طوال فترة مراقصته لها ؛ وطاب له أن يستمع اليها ويصغى لثرثرتها .

ثم توقفت موسيقى الرقص ، وعاد كل الى مائدته ، وسمعها تقــول له :

ـ لقد انتهت الرقصة سريعا .

وما ان استقر بهما المقام بين زملائهما حتى استعادت تحفظها قائلة له :

ـ شكرا ياكابتن .

* * *

كانت الرحلة الى باناما ميسرة سهلة . الجو صاف والسماء متألقة والرؤية ممكنة على بعد مائة ميل . واستقرت الطائرة بركابها على ارض المطار فى وقت الظهيرة بعد رحلة دامت اقل من اثنتى عشرة ساعة تقريبا .

وكان للشركة استراحة من طابقين ، مقامة بين التلال شمالى المدينة .. أعدتها ليقيم بها الملاحون قبل استئنافهم لرحلتهم الطويلة عائدين الى لندن .

وكان الجميع مجهدين حتى انهم امضوا اليومين الأولين يقراون فى تراخى الكسل . فلما استعادوا نشاطهم فى اليوم الثالث ، عرض عليهم دربويت قضاء السهرة مع بعض الأصدقاء فى القطاع الامريكى تلبية لدعوتهم .

وعند تناول طعام الغداء فى ذاك اليوم ، عرض دربويت الفكرة على ليمنج الذى لم يتحمس لها . فى حين وافق سائر الملاحين مرحبين بهذا التغيير . وعندئذ قال دربويت للمضيفة :

ـ أما أنت فستشاركيننا هذه السهرة بطبيعة الحال ؟.

قلما لم تسرع بالاجابة استطرد !

ـ سيكون هناك فتيات غيرك وسنرقص جميعا .

ـ آسفة . . انني افضل التخلف هنا بالاستراحة .

ـ أوه . انك تحبين مثل هذه السهرات .

والح عليها . فقالت في إصرار :

ـ كلا . . انني اميل الى العزلة في هذا المساء .

واحتج دريويت عليها موضحا انها لايجب ان تخرج على اجماع افراد الطاقم . . ولاحظ ليمنج انها تكاد تنفجر غاضبة . فتدخل قائـلا :

ـ ولماذا لاتتمتعين معهم بهذه السهرة ؟ .

ـ اذا كنت ترى ذلك ياكابتن ، فلا باس .

وهلل زملاؤها فرحا بقبولها . واخبرهم دريويت بأن هناك سيارة ستكون معدة لهم في تمام الساعة السادسة .

وتوجه ليمنج الى المدينة بعـد ظهر ذلك اليـــوم ، وعاد الى الاستراحة في نفس الوقت الذى كانت تغادرها فيه السيارة التى تحدث عنها دريويت ، مقلة الطاقم . وبينما هو يقطع الوقت في القراءة اذ اقبلت عليه ليبى في ثوبها الابيض ، فرفع عينيه عن الكتاب الذى كان بين يديه ، وحملق فيها مندهشا وقائلا :

ـ حسبت انك ذهبت معهم ؟ .

ـ لقد اختفيت عن انظارهم ، لقد وافقتهم لانك اردت هذا حلا للاشـكال .

ـ فعلا . ومحافظة على السلام .

ـ لماذا لايكون من حقى ان اقضى ليلة هادئة ؟ .

فضحك ليمنج . ورآها تبتسم له ثم تولى وجهها شطر الباب قـائلة :

ـ ساستبدل ثيابى .

ـ سنلتقى في ساعة العشاء .

وعاد الى ماكان فيه من قراءة . وسمعها تقول له بالفرنسية :

ـ يسعدني ذلك .

وجلسا الى مائدة العشاء التى اعدت لاثنين . وتجاذبا اطراف الحديث في ود ظاهر . وأطرى زينتها وذوقها ، ونسى كما نسيت هي ، أنه الكابتن وانها المضيفة .

ودعاها الى تناول كاس من النبيذ مع طعام العشاء ، وراح يستمع الى ثرثرتها التى انسته كل ما مر به فى الطريق بين الآزور وبرمودا ، وازالت ما كان عالقا بنفسه من آثارها ، وشعر بأنه والعالم على اتم وفاق .

وانتقلا الى الغرفة المجاورة حيث قدمت لهما القهوة . وجلس يتأملها وهى تعد له قدحه . وادرك ماتتمتع به من فتنة وجمال . واقبلت عليه بقدحه ، وقالت وهى تجلس على الأريكة بجواره :

ـ لو كنت اعرف ان الطيران هكذا .. لفكرت فى العمل به من قبل .

فضحك قائلا :

ـ الم تجدى فيه مشقة ؟ ان عملك يتطلب منك الوقوف على قدميك وقتا طويلا .

ـ بينى وبينك ، لقد قضيت معظم الوقت نائمة .

وماذا كان شعورك عندما تأزمت الاحوال عبر الاطلنطى ؟.

ـ لم يتطرق الى نفسى ادنى شك فى قدرتك على التصرف ولذلك تجدنى قد استسلمت للنوم غير قلقة .

وتأثرت نفسه بما سمع . هذه الثقة التى لاحد لها فى كفاءته ملكت عليه لبه . وهذه الفتاة التى كان يراها فاتنة مرحة . تطوى بين جنبيها ماهو ابدع من ذلك وافضل . وفاضت نفسه بشعور من الميل اليها . وبدأ يسرد على مسامعها تاريخ حياته فى القوات الجوية . ثم تاريخ حياته السعيدة مع زوجته مبلاني . محتفظا بتفاصيلها تقديسا لها . وحكت بدورها قصة حياتها . كانت الابنة الوحيدة لوالدها الطبيب . وكانت مخطوبة لطيار بالقوات الجوية قتل فى عملية من العمليات . وكانت قد ملت عملها المكتبى :فرات ان تعمل كمضيفة بالرغم من معارضة والدتها . وختمت حديثها قائلة :

وكأنني كنت أعرفك طوال حياتي ... وهذا لا يروق لي ؟ ثم ران عليهما صمت استمر بضع دقائق .

وكانت هي البادئة بالحديث لتقطع عليه سبل أفكاره ، فرنت اليه بعينيها واقتربت منه قائلة :

ـ ميشيل ، انك غريب الأطوار !.

وادرك ليمنج مافي لهجتها من تعمد لرفع الكلفة بينهما ، ولمس مكامن الخطر في نبرات صـــوتها . والتزم جانب الصمت ليتيح لنفسه فرصة التفكير فيما يجب ان يتصرف به . واخيرا قال لها :

ـ ولماذا ؟.

ـ لانك تنحو في معاملتك لي نحو المنصرف عني .

ـ لست ارى فيما تقولين مايعني اني غريب الأطوار .

ـ غريب الأطوار بالنسبة لي . بل ان تعمدك هذه المعاملة يزيد الامر وضوحا .

وماهو هذا الامر الذي يزداد وضوحا ؟.

ـ انك معجب بي .

ولم يحاول ليمنج أن ينكر ذلك ، بل شعر بأن عبئا ثقيلا قد أزيح عن صدره . فقد اعجب بها منذ ان وقع نظره عليها لاول مرة بالطائرة . ثم ازداد اعجابا بها في برمودا . وهاهي تأسر ليه بانتهازها اول فرصة لتنزل به من حالق خياله الى عالم الواقع والحقيقة ، فتخرجه من تردده ومما يشعر به من حرج . وتأمل عينيها قائلا :

ان اى رجل تأسر لبه اية فتاة لها مثل فتنتك ، اذا ماكان بعيدا عن منزله منفردا بها . وبالذات في مكان هادىء مثل هذا . وحدة وجمال وسكون وخيال .

ـ لست انت هذا الرجل . لاتتظاهر بما ليس فيك .

لم اعرف انك تسبرين غور الرجال هكذا !.

انهم الشيء الوحيد الذي اتقن الالمام به . انني لااجيد التحدث في الكتب او في السياسة او في الدين . ولكنني اعرف الرجـال على حقيقتهم بمجرد التقائي بهم .

وراح ليمنج يقلب الامر على كل وجوهه لعله ان يجد تعليلا لكل هذا الذى يمر به : بينما جلس كل منهما يتامل الآخر . انه لم يدر بخلده من قبل ، انه سياتى هذا اليوم الذى يجلس فيه الى فتاة اخرى ، ويستمع الى ما استمع اليه من ليبى . وهاهى قد بدات فعلا تستحوذ على مشاعره وتدفعه الى مجاراتها فيما ترمى اليه . وادركت بلماحيتها ما يجول فى خاطره فقالت له :

ـ لاعليك . اراك قلقا مشغول الفكر . لقد اعجبت بك انا الأخرى منذ أن وقع نظرى عليك لاول وهلة .

ووضعت يدها على يده ، وازدادت اقترابا منه ، وقدمت له شفتين اودعتهما قبلة عبر بها عما تملك نفسه من شعور .

***

وتسلم ليمنج امر العودة الى الوطن من مطار بثاما يوم الخميس ثم سلمه بعد اثنتى عشرة ساعة الى كيلستون فى برمودا . وكانت الطائرة التى عاد بها هى ابزى زيرا . وساله كيلستون عن حالتها ؟ فطمانه واكد له انها بخير .

ولم يكن ليمنج فى حالة معنوية جيدة ، لمجرد تصوره انه سيقضى يومين فى برمودا الى جانب ليبى . اما كيلستون فكان فى حالة معنوية مرتفعة . وكان يترنم بلحن خفيف مرح . وساله ليمنج عن ماهية هذا اللحن ، فاجابه بانه لحن تشيكى شعبى ، وانه جد معجب به . فقال له ليمنج متندرا :

ـ يلوح لى انك قد جاوزت الغلاف الارضى صعودا .

فابتسم كيلستون قائلا :

ـ بكل تاكيد . . تامل معى هذا . . ثم اشار الى قائمة الارصاد امامه مستطردا :

ـ سرعة الرياح اربعون عقدة على ارتفاع ١٩،٠٠٠ قدم .

وتامل ليمنج معه التقديرات الجوية من برمودا الى الآزور قائلا :

ـ الاحوال الجوية فيما يبدو لاتبشر بخير .

ـ انها ليست بهذه الدرجة من السوء .

ـ ان كل شىء سيبدو لك تافها بعد هذا الاعصار الذى صادفك .

الجزء الرابع

قلب العاصفة

٢٦ نوفمبر – ٢٧ نوفمبر

وبرزت الطائرة ايزى زيرا من بين السحب القاتمة الى صفاء الليل ، عندما بدات تطير على ارتفاع منخفض فى اتجاه سان ميجويل ، وقد ارتفعت ذرى جبالها شامخة صوب السماء وتعلقت انظار كيلستون بشعاع الضوء ينفذ من بين جنباتها . ثم يزداد وضوحا وجلاء حتى يصبح كتلة واحدة متوهجة ، تتجمع فى بونتاد لجادا .

وتمثلت له كارينا بظهورها المفاجىء فى حياته ، فى هذه الجزيرة التى بدت امام عينيه شامخة بجمالها ساطعة بأضوائها. لقد دخلت كارينا فى حياته فملأت عليه فراغها . ثم راح يفكر فى بلاده وفى تغييرها لاصدقائها ولأعدائها كما يغير الاطفال الدمى التى يلهون بها .. وفى تلك الحرب التى انتصرت فيها وخسرت الدافع الاسمى الذى دخلت الحرب من اجله ، ان القوانين والمبادىء ، والاخلاق والخير والشر ، وبناء المجتمع ، تختلف باختلاف البلاد والناس .. وباختلاف الزمان والمكان .

اماو قد استقر بطائرته على ارض المطار ، وهدأت نفسه مع هدوء الليل وسكنت اليه ، فلم يعد يشغل فكره الا الاسراع بقطع ستة الأميال التى تفصله عن كارينا .

ووجدها فى انتظاره كما عودته عند مدخل الفندق . وما أن توقفت به السيارة حتى هبطت الدرج لتقابله فى منتصف الممشى ثم تضع ذراعها فى ذراعه ، لتعود به الى مكتب الاستقبال .

وقبل ان يتسلم مفتاح غرفته من بانشيلى ، الموظف المختص اقبل عليه مستر اجوستينو مدير الفندق محييا مرحبا ، عارضا لخدماته .

ـ كابتن كيلستون . هذا شرف عظيم ، متى نبعث اليك بالعشاء فى غرفتك ؟ ثم قدم اليه مفتاح غرفته بنفسه مبالغة فى تكريمه والحفاوة به .

ـ بعد ساعة ، وشكرا ، وانصرف كيلستون مشيعا بأحسن مما قوبل به من تحية وابتسام . وارتقيا الدرج على مهل ذراعا فى ذراع واتجها معا الى الفرقة المخصصة للكابتن . وفتح الباب لتسبقه الى داخلها ، وتبعها ثم اغلقه فى هدوء وثبات .

وجلسا يتناولان عشاءهما على مهل ؟ بينما كانا يتجاذبان أطراف الحديث ، هانئين سعيدين متفاهمين ، تلتقى آراؤهما وتفترق فى كل مايعرضان له من مواضيع ، فى انسجام ووعى مشترك ومع اقداح القهوة التى قدمت لهما ، سألت كارينا كيلستون وهى تتأمله بنظراتها عبر المائدة .

ـ ماذا بك يا مارك ؟ . صارحنى بحقيقة الأمر ؟ .

وكان صوتها هادئا رقيقا حانيا فيه مسحة من الحزن .

ـ اصارحك بما ذا ياكارينا ؟ وكأنه لم يكن يريد ان يعكر صفو هنائهما .

ـ صارحنى بما يضايقك ؟ .

ولمس فى لهجتها شدة حدبها عليه وانشغالها بأمره .

– يقولون – ثم توقف عما كان بسبيل التحدث به – انها مجرد اقوال لم تصل بعد الى أن تصبح قرارا – ان الأمر لم يتقرر بعد فى الواقع ..

– هات ما عندك ، هيا لا تتردد ..

ثم استطردت :

– قد لا يسمحون لك بالتخلف هنا ؟ .

وبذلك أتمت نيابة عنه ما كان بصدد الافضاء به اليها . وبعدها اطرقت قائلة :

– افهم ذلك ..

وبعد ان اشعلت لفافة تبغ ، سألته :

– هل أنت المعنى بذلك دون الآخرين ؟.

– آوه كلا . ان الأمر ليس بهذا الوضع . ولن يكون هذا القرار بسبب علاقتنا .. كلا – انه مؤسس على الرغبة فى الاقتصاد فى النفقات . انه قرار عام لمصلحة الشركة المادية .

– ترى ، هل سيتم تنفيذ ذلك ؟.

– لااحسبهم يجازفون بهذا ! ان المسافة طويلة . اطول من ان تقطع دون توقف . لقد نصحتهم وابديت لهم وجهة نظرى . ان يوما كاملا بأسره من الطيران المتواصل فيه ارهاق للطيارين .

– فلنفترض انهم لن يستجيبوا الى نصحك ، فمتى يتم التنفيذ ؟ .

– اعتقد ان تنفيذ ذلك يستغرق بعض الوقت ؟.

فقالت باسمة ، وهى تحدق النظر فى نيران المدفأة :

– اذن فساهدأ بالا .. ولو الى حين ، أما انا فلدى انباء لاباس بهـا .

واخرجت من حقيبة يدها خطابا حكوميا ورد لها من مكتب الاجانب يطالبها ببعض الاستيفاءات لاستكمال بحث طلبها السابق تقديمه منها بدخول انجلترا . ولوحت به فرحة مسرورة وهى تقول :

– وعندئذ سنجتمع معا اياما وشهورا واعواما طوالا . لاساعات قليلة كالتى نقضيها معا هنا . انها اول مرة يصلنى فيها شىء من هذا القبيل بعد أن تواترت الردود من قبل « بلا » .

ثم عادت فاودعت الخطاب حقيبتها .

واقبل صباح اليوم التالى منذرا برحيل كيلستون فى الساعة المعينة له . واستقل السيارة ووقفت تودعه عند باب الفندق ملوحة بيدها محافظة على هدوئها وابتسامتها .

وما ان غابت السيارة عن عينيها ، حتى زايلتها ابتسامتها وعادت واجمة ساهمة الى غرفته تجمع ماتبقى من حاجياتها . وبينما كانت واقفة الى النافذة شاردة الذهن سمعت طرقا على الباب الذى فتح فى اللحظة التى استدارت فيها ليقع نظرها على حلة الطيران الزرقاء فخيل اليها انه عاد لسبب ما . ولكنها ادركت خطاها عندما رفعت عينيها الى الوجه المكتنز للكابتن الذى سيحتل الغرفة استعدادا لرحلة الجنوب . وسمعته يقول لها معتذرا :

ـ الكابتن فيورستون .

ـ آسفة : لم اتوقع مجيئك مبكرا هكذا .

ـ انها مأمورية خاصة . من هنا الى برمودا وبالعكس ، فقالت له :

ـ آه . هذا هو السبب اذن .

ـ آسف لازعاجك !.

ـ كلا . . لقد كنت فى طريقى لمغادرة الغرفة .

وخرجت الى الدهليز وسمعته يغلق الباب ويشرع فورا فى اعداد نفسه لساعات الراحة المخصصة له .

الجـزء الخـامس

نهاية ربع الدائرة
الشمالى – الغربى
٢٧ نوفمبر – ٢٠ ديسمبر

- ١ -

وبعد ان امضى ليمنج يومين هادئين فى برمودا ، تبع كيلستون عائدا الى لندن . ولم تكن الأمور بالفة ماتصوره من سوء ، ورأى انه كان مبالغا فى تصوره وخياله .

ولم تضايقه ليبى كما توقع ذلك منها ، لمسة عابرة من يدها على مائدة الطعام من حين لآخر ، وقبلة مختلسة عند باب غرفتها بمحطة سان ميجويل الليلية ، هذا كل ما اثقلت به عليه أثناء رحلتها – أما فيما عدا هذا فقد كان هو ، هو ، الكابتن ليمنج قائدا ورجلا .

وما أن هبط بالطائرة فى مطار لندن ، حتى كانت مغامرته فى باناما فى تقديره بمثابة العاصفة العابرة التى تزول وتنقضى غير مخلفة الا آثارها المؤسفة .. فقد كانت عنده حدثا عارضا لن يتكرر ولم يعد له وجود فى كيان حياته .

وفوجىء بليبى تقـــولُ له وهما بغرفة العمليات محاذرة ان يسمعها احـــد :

– سأتدبر الأمر حتى تكون خدمتى المقبلة معك ياعزيزى ، وقبل

ان يتمكن من مناقشتها فى ذلك تركته والابتسامة تعلو وجهها .

والتقى بمستر فيتش عند مكتب بريد الشركة . وحياه المدير قائلا :

ـ هاللو ، ميشيل . بلغنى مالاقيت من عناء .

ـ اجل ، اجل .

ـ امر يؤسف له .. ولكنك قمت بعمل مجيد بتغلبك على ماصادفك من ظروف قاسية . ولقد كتبت للشركة لتثنى عليك وتقدر لك هذا .

ـ اننى لم اتعرض من قبل لما تعرضت له فى هذه الرحلة .. واعتقد اننا نجونا باعجوبة . ارجو أن تضع الشركة توصيات المهندسين موضع الاعتبار .

ـ فعلا .. فعلا .. ولكننا ان نستطيع تغيير التصميمات دفعة واحدة .

وكان ذهن ليمنج منصرفا فى الواقع الى مشكلته مع ليبى التى لاتريد أن تعتبر مغامرته معها حدثا عارضا . ثم سمع فيتش يسر اليه :

ـ كيلستون غاضب متذمر . لقد عملت بنصيحتك التى وافق عليها جميع زملائك فيما عدا كيلستون . ان رئيس مجلس الادارة فى غاية السرور . وسيتم الغاء استراحة الآزور فى نهاية الاسبوع الجميع موافقون الا كيلستون .

وانتظر فيتش تعقيب ليمنج ، ولما لم يسمع منه شيئا .. استطرد قائلا :

ـ ولكنك تعرف سبب عدم موافقة كيلستون ؟.

ولما لم يسمع منه ردا اكثر من حركة العارف ببواطن الأمور بدا يدافع عن فكرة الغاء المحطة محاولا أن يحصل على تأييد عملى من ليمنج لامكان تنفيذها دون مخاطرة بارهاق الطيارين . وعلم منه أنه شعر فعلا ببعض التعب .

ثم انتقلا للحديث عن كيلستون وعن ترك زوجته له . وعبر ليمنج عن امله فى ان تتحسن الاحوال بين الزوجين فى آخر الأمر . ولكن فيتش ابدى تشاؤمه من امكان ذلك ، راجيا منه ان يوفق فى القيام بشىء لاصلاح ما بين الزوجين بالرغم من ذلك .

وحرك حديث فيتش فى نفس ليمنج الشعور بواجبه نحو كيلستون . وعلى طول الطريق الى منزله لم يفكر الا فى هذا البيت الذى يراه على شفا هاوية من الانهيار . وانساه هذا الموضوع مشكلته الخاصة مع ليبى ، التى كانت تملأ عليه ذهنه منذ ان أعلنت له عزمها على أن تلازمه فى رحلته التالية ، فكشفت بهذا عن تصميمها على الا ترى فى علاقته بها علاقة عابرة كانت لها ظروفها الخاصة .

وبعد أن بادل زوجته ميلانى استقبالها الحار له ، عاد الى حالته من الاستغراق والتفكير مما حدا بها أن تسأله :

ـ ماذا بك يامبشيل ؟ هل أنت متعب ؟.

ـ كلا . . انني مشغول الفكر .

ـ بماذا ياعزيزى ؟.

ـ هل تذكرين انك صارحتنى فى يوم ما بأننى لا افكر الا فى نفسى ؟ وأننى لااهتم بغيرى من الناس ؟.

ـ اوه . لاعليك من هذا . قلت ذلك فى حالة غضب .

ـ كلا . . لقد كنت على حق .

ـ ان الناس جميعا هكذا .

ـ وهذا ماكنت افكر فيه . لدينا موضوع كيلستون وزوجته مثلا . ان احدا مالم يتحرك ليتدخل بينهما لانقاذ حياتهما الزوجية .

ـ ترى ماذا يمكن عمله فى هذه الظروف ؟.

ـ ان أقل مايمكن ان يفعله المرء هو المحاولة . وليكن بعد هذا مايكون .

ـ ومن ذا الذى عليه ان يسعى بين كيلستون وفرونكا ؟.

ـ انا . . سأحاول ذلك .

ونهض ليمنج مبكرا من فراشه ، وقام هو باعداد طعام الافطار

لزوجته واطفاله ، فسرت ميلاني بذلك ودهشت في الوقت نفسه ، واستفسرت منه عن السر في كل هذا النشاط . فقال لها :
ــ اريد ان انصرف مبكرا في هذا الصباح ؟.
ــ الى اين ؟.
ــ لقد اخبرتك بذلك في الليلة الماضية . انى ذاهب لمقـــابلة كيلستون .
ــ ولكنك في أول يوم من أيام عطلتك ! وامامك اسبوع باكمله .
ــ اعرف ذلك . ولكننى اخشى ان يسعى من جهته للانطـلاق سريعا . لانه قد تقرر الغاء المحطة الليلية في آخر الاسبوع .
ــ وماذا بوسعك أن تقوم به ؟.
ــ ساصارحه بكل مايقال في هذه الظروف . انه لم يجد من يسدى اليــه النصح .
ــ لقد هجرته فيرونيكا فعلا . انك تحركت متأخرا .
ــ كلا . . مادام الطلاق لم يقع بينهما .
ــ على رسـلك .

وانطلق بسيارته ولم تكن الساعة قد بلغت الثامنة بعد . انطلق وكله حماس وأمل دون ان يدور بخلده شيء عن مدى اســـتجابة كيلستون لتلك اليد التى تمتد لمساعدته .

وكانت ميلاني تتوقع له الفشل في مهمته ، علاوة على انها لـم تؤمن بما هو مقدم عليه . ولم يعد ليمنج الى منزله الا بعد الساعة الثالثة ، وجلس يتناول طعامه دون ان ينطق بكلمة واحدة . ولاحظت زوجته انه يتفرس في نار المدفأة ساهما . فقالت له اخيرا :
ــ هات ماعندك . خبرنى بكل ماكان .
ــ لاشيء .
ــ الم تقابله ؟.
ــ قابلته . . انه يعيش في غرفة واحدة لا اثاث بها .
ــ هكذا وحيدا بعيدا عما الفه من حياة منزلية .

ـ يلوح لى ان هذا لايعنيه فى كثير او قليل . وهو قانع بصورة فوتوغرافية للفتــاة تونس وحدته . انك تعرفين انها لن تستطيــع دخول انجلترا .

ـ إجلْ . اعرف هذا . ولكنك غامض لاتفصح ولا تبين .

ـ أنا نفسى عاجز عن تحديد ماأقول .

ـ ماذا قلت له ؟ وماذا قال لك ؟ .

ـ قلت له مايقال فى مثل هذه الأحوال . الناس يتقولون .. والاشاعات التى تحيط به كثيرة .. وانه بدأ يفقد ثقة الناس فيــه وانه بتصرفاته هذه يحطم حياته ومستقبله .

ـ وكيف تقبل هذا منك ؟ .

ـ تقبله ضاحكا . ان الرجل قد فقد عقله ؛ انه لايستحى ولا يعتقد انه يرتكب خطأ ما انه غارق الى ذقنه فى لجة من ســعادته الموهومة . انه يضع أمام عينيه قناعا من الأوهام .

ـ مادام سعيدا ، فلن يرى شيئا غير سعادته .

هذا ماتحدث به فعلا . وزعم انه جد مغرم بالفتاة . وصارحنى بأنهما متفقان فى كل شيء ، وانها تكمل ذات نفســه فعلا . وقال انها نصفه الآخر بكل مافى هذه الكلمة من معنى . وانهى حديثه معى قائلا ، انه وجد سعادته اخيرا وانه قد عقد العزم على التمسك بهــا الى آخــر المدى .

ـ ٢ ـ

ـ صباح الخير ، ياكابتن .

نفس الكلمات بنفس اللهجة المتحفظة . فاستدار ليمنج وهــو فى طريقه الى الطائرة وتامل مصدر الصوت ورآها بلحمها ودمهــا تستعد لتشاركه رحلته كما قالت . وبادلها تحية الصبــاح بلهجة عــادية .

واقبل عليه المضيف ، مستر بولينجى ، محييا معلنا ان كل شيء معد للقيام بالرحلة . واستفسر من قائده عما اذا كانت الاستراحة الليلية قد الغيت فعلا ، فاجابه بالايجاب معلنا انهم سيطيرون راسا الى برمودا .

وبعد الانتهاء من الاجراءات المبدئية ومراجعة البيانات الضرورية احتل ليمنج مقعده وتأمل الضابط الأول الجالس الى يمينه قائلا :

ـ لا اعتقد أننا عملنا معا من قبل ؟.

ـ بلى . اسمى كوكروفت ياسيدى .

ـ هل انت حديث عهد بالخدمة ؟.

ـ لقد شاركت الكابتن فيريس فى رحلتين .

ـ حسن .

ـ وانفردت بقيادة الطائرات فى العام الماضى .

ـ فى هذه الشركة ؟.

ـ كلا . فى شركة انسونز . بين بلاكبول وجزيرة مان .

ـ طائرة صغيرة وطريق قصير .

ـ ان المسافة لاتزيد فعلا عن خمسين ميلا .. ولكن كثيرا ماصادفتنا المتاعب نتيجة لرداءة الطقس .

وفى الطريق بين لندن ومدريد ، دأب ليمنج على اسداء النصح والارشادات الى ضابطه الأول . غير أنه لاحظ ان الضابط لا يدون شيئا مما يسمع اليه ، بل ويكاد ، لو اتاح له ذلك ، أن يوجه هو نفس هذه الارشادات وأكثر منها اليه .

وشقت الطائرة طريقها غير عابئة بما بين الكابتن وضابطه من حديث ، حتى هبطت مطار مدريد فى الساعة المعينة لها بجدول التوقيت . ثم استأنفت رحلتها الى جزر الآزور فى جو هادىء صحو .

وانتهز ليمنج هذا الهدوء ، فراح يقلب موضوع ليبى شالونر

على كلّ وجوهه . ولم يتبين ما اذا كان مسرورا بطيرانها معه ام لا؟ الا انه يستطيع ان يطمئن الى تصرفها الرصين كما بدا له ابان المراحل الأولى للرحلة .

وبينما كان جالسا فى قمرة الطائرة ايزى فوكس ، يستمع الى البيانات التى يقرأها كوكروفت قبل ادارة محركاتها فى مطار جزر الازور ، اقبلت ليبى تعرض على ليمنج فى دلال ، « مرطبات ، حلوى سجائر ، مسليات » فتأملها فزعا من هذا التغيير المفاجىء فى مسلكها أمام افراد الطاقم وأثناء الخدمة بالذات .

ولما تمادت فى الحاحها ود لو يقتلها غيظا . واستأنف كوكروفت قراءة البيانات ، واضطر ليمنج ان يمد يده للسلة التى تحملها ويتناول قطعة من الحلوى حتى تنصرف وتعود الى عملها . فقالت له وهى تتاهب للانصراف فى دلال وتأدب مفتعل :

ـ شكرا ياسيدى .

وانطلقت الطائرة ايزى فوكس لتقطع الالفى ميل بين جزر الازور وبرمودا ، وتولى ليمنج قيادة الطائرة اربع ساعات طوالا ، لم ينقطع خلالها عن التفكير فيما يشغل فكره للخروج من هذا المأزق . المأزق الذى يجد نفسه فيه نتيجة لاصرار ليبى على رفع الكلفة بينهما .

وعرض عليه كوكروفت ان يتولى القيادة عنه بينما يخلد للراحة قليلا . واخيرا قبل ودفع مقعده الى الخلف واستلقى عليه مغمضا عينيه مستعرضا الأمر دون أن يشغله شاغل . وتبين له بجلاء أن ليبى لم تتعمد ان تستأنف الطيران معه دون ان يكون لها من ذلك غرض معين . وانها لاترى فيما كان بينهما فى باناما حدثا عارضا أو نزوة طارئة . وان عليه أن يتصرف بحزم ازاء ذلك . وما أن استقرت بهم الطائرة على ارض المطار فى برمودا ، حتى كان قد حزم امره وانتهى الى مايجب ان ينتهجه من سلوك مع ليبى شالونر . ولاذ بفراشه متعبا مكدودا بعد طيران دام ٢٢ ساعة .

ولم يستيقظ مبكرا فى صباح اليوم التالى ، بل تجاوز به نومه

ساعة الغداء، وغادر الفندق الى هاميلتون لتناول وجبة خفيفة مع قدح من القهوة وبينما كان يجتاز حديقة الفندق عند عودته ، وقع نظره على ليبى تضطجع فى استرخاء على أحد المقاعد . فنادته قائلة :

ـ ميشيل !. جو بديع وشمس مشرقة .. ماذا ترى فى كل هذا الجمال ؟.

فأتاها يمشي متحفظا جادا .. وما ان اقترب منها حتى قال فى هـدوء :

ـ ليبى ، اريد أن اتحدث اليك فى أمر هام .

فرنت اليه بعينين عابثتين ، وقد انفرجت شفتاها عن ابتسامة كلها دلال واغراء . فقال لها امحتدا :

ـ ليبى ، استمعى الى ماساقوله لك . مادمت تعملين تحت امرتى ، فلست أحب منك أن تتصرفى بغير ما يتصرف به سائر أفراد طاقم الطائرة .

ـ لست افهم ماتعنى .

ـ ليس من دابى أن اتقبل بحال ما رفع الكلفة بينى وبين أى ممن يعملون تحت قيادتى فى الطائرة . بما فيهم انت .

ـ سمعا وطاعة . ولكن الآن .

ـ الآن ، ستستمع المضيفة الى مايوجهه اليها قائد الطائرة من نصح وارشاد .

ولكنها لم تقابل هذا منه الا باستهتار ونزق . وود لو يصفعها ليعيد اليها رشدها . وسمعها تقول له فى غير اكتراث .

ـ ماذا تحاول أن تعظنى به ؟ لماذا لاتوفر على نفسك هـذا العناء ؟.

ـ اصغى الى جيدا .. اننى اعترف بأنك استحوذت على مشاعرى فى باناما . وهذا ما يتعرض له أى رجل فى مثل هذه الظروف . ولكنك يجب ان تعلمى بأن ماكان بيننا لن يتكرر مرة أخرى .

وبدات تضحك فى دلال قائلة :

ـ بديع . رائع . هذا هو السر فى انك لم تقاوم ياميشيل وانك نطقت بما تحب كل فتاة ان تسمعه من الرجل .

ـ لقد كشفت لك عن سريرة نفسى وعن عزمى . وهذا ماانتهيت اليه فعلا . هل تسمعين .. لست احب ان يتكرر ماحدث فى الطائرة عندما اقبلت تعرضين الحلوى فى دلال .

ـ او هـــذا كل مافى الامر ؟ ميشيل ، الا ترى ، الا تفهم ؟ ثم اخفت وجهها بين يديها منتحبة باكية .

ورق لحالها قائلا :

ـ انى جد آسف يا ليبى . لم اقصد الاساءة اليك . ولكننى كان يجب ان اصارحك بما صارحتك به .. ان النظام هو النظام ثم قدم لها منديله تكفكف به دموعها .

ـ لم يدر بخلدى ان سلوكى يضايقك . لقـــد اردت فقط ان اثبت لك ان روحى المعنوية مرتفعة بالرغم مما تعرضت له من جهد طوال ساعات الخدمة فى الطائرة .

واسقط فى يده ، ولم يدر ماذا هو قائل . لانه لم يدخل فى تقديره ان يفاجا بهذه الدموع المنهمرة . وآثر ان يلوذ بالصمت حتى تهدا قليلا . ثم رأى ان يواصل ما بداه .

ـ ان الموقف جد معقد ، ان وضعنا غير طبيعى .. انه وضع شائك شاذ .

ـ هذا الفارق الكبير بينك وبينى ؟ بين الامير وبين سندريللا ؟ بالسندريللا المسكينة !.

ـ ان الامر لا يتعلق بشخصى او بشخصك .. لقد اسات فهمى انها ظروفنا . ظروف كل منا .

وكفت عن البكاء وعادت لتضحك من جديد . فاستطرد قائلا :

ـ ان ماأريد ان اقنعك به ، هو أن ماكان بيني وبينك قد انتهى امره . لقد كانت نزوة طائشة فقدت فيها عقلي ..

ـ ولن تعود الى سلوك هذا المسلك مرة اخرى . انتهينا . لقد ساعدتك على اتمام ماكنت تريد ان تقنعني به .

ووقف الى جانبها ساكنا . ثم قال لها اخيرا :

ـ أو هــــذا كل ما تستطيعين أن تجيبي به على ما تحدثت به اليــك ؟.

ـ لقد سمعت ووعيت خطابك ياسيدي الكابتن .

وما ان سمع منها هذا ، حتى أدار لها ظهره فجأة ، وولى وجهه شطر الفندق . وشعر بالارتياح لأنه ازاح عن صدره ماكان يجثم عليه . ورضي عن نفســه التي اعاد اليها اعتبارها وكيانها . وفــكر في كيلستون الذي لم يستطع ان ينقذ نفســه قبل ان يتردى فيمـا تردى فيه .

ولم تخرج ليبي في سلوكها معه اثناء اقامتها في برمودا ، عن الاطار الذي رسمه لها . وكانت تصرفاتها فوق مستوى الشبهات واللوم .

وتطرق الى سمعه بعــد ذلك ان كوكروفت بدا يهتــم بامرها ، ووصل الى علمه مشاركته لها في السباحة وفي السهرات الليلية في نوادي هاميلتون .

وتخلص ليمنج من كل قيوده ، واحس انه استعاد حـريته ، والتقى بفيريس الذي دعاه ليشاركه الشراب . ومع الكؤوس الدائرة تشعب الحديث بينهما ، وتطرق الى ماصادف ليمنــج اثناء طيرانه السابق من حادث كاد أن يودي به وبركاب الطـائرة . ثم انتقـلا الى الحديث عن حالة طائرات المارلبورو وما تحتاجه من اعادة النظر في تصميم أجهزتها . وأخيرا قال فيريس معقبا :

ـ انك تعرفني على حقيقتي . اغنم من الحاضر لذاته . ولاتشغل نفسـك بماضي الزمان . ودع المستقبل لما قدر لك فيه .



ـ اذن فلتأمر لى بكأس قبل أن يصبح الحاضر ماضياً .
فضحك فيريس وأمر لهما بكأسين من شراب « توم كولينز »
وبعد ان انصرف فيريس ، شعر ليمنج بالوحدة لأول مرة بعد أربع سنوات طوال تردد فيها على برمودا . ولم يجد مايفعله غير التنقل بين صالونات الفندق وقاعاته .

ورحب بوصول الطائرة ايزى زيرا من انجلترا ، والتى كان مفروضا أن يمضى بها مواصلا رحلتها الى بناما .

وكانت رحلة استغرقت اثنتى عشرة ساعة فى جو هادىء وتحت سماء صافية . وهبط بالطائرة فى المطار هبوطا ميسرا سهلا . ثم توجه الى غرفته بالاستراحة سعيداً منشرح الصدر ، أشد ما يكون رغبة فى النوم . وما أن تناول عشاءه واحتسى قدحين من الجعة حتى القى بتحية المساء الى الملاحين وصعد الى الطابق الأعلى ، حيث استغرق فى نوم عميق بعد أن استلقى على فراشه بدقائق قليلة .

واستيقظ فى صباح اليوم التالى ليتناول طعام افطاره مع زملائه ، ويستمع الى مشاريعهم عن كيفية قضاء يومهم . وسمع فيما سمع خطط ليبى عن قضاء يومها مع كوكروفت فى كولان ، واتفاقها معه على قضاء الغد على شواطىء جزيرة توبوجا .

وكان جو اليوم حارا مشبعا بالرطوبة . فآثر ان يقضيه مستظلا بظل احدى الاشجار الكبيرة فى حديقة الفندق . وظل فى مكانه هكذا يقاسى من الوحدة ومن شدة الحرارة حتى حلت ساعة الغداء .. وجلس وحيدا الى المائدة ، لان الجميع كانوا قد انطلقوا ينعمون بيومهم . وبعد ان فرغ من تناول طعامه ، ارتقى الدرج الى غرفته ليقضى ساعة القيلولة فى استرخاء واعتكاف هادىء ساكن . وحرك هذا الهدوء والسكون فى نفسه ، ما كمن من ذكريات عالقة بها عن مغامراته السابقة مع ليبى ، وايقظ فيه ما اراد له أن يموت وينقضى .

وفى الأيام الاربعة التى قضاها فى بناما قبل طيرانه الى انجلترا حرصت ليبى على تجنبه وكان كل ما يسمعه منها هو ، صباح الخير

يا كابتن عند طعام الافطار ، « ومساء الخير يا كابتن » عند طعام العشاء .

وبعد ساعة من رحيلهم عن بناما ، في طريق عودتهم الى الوطن، بدات التقلبات الجوية فوق جامايكا واكفهرت السماء وتجمعت السحب . وراجع ليمنج مع كوكروفت جدول التنبؤات الجوية وخرج منه بنتيجه واحده . ان امامه طقسا كريها سيئا . ورأى انه يحسن به أن يحاول الهبوط في مطار كنجستون .

وأصدر أوامره الى كوكروفت ضابطه الاول ان يراقب مؤشرات الارتفاع مع العناية بزوايا الانحراف لان الجبال تحيط بالمطار وتنتشر بالجزيرة في كل مكان . كما طلب منه أن ينعم النظر عند الطيران على ارتفاع منخفض ، في سطح الجزيرة حتى اذا ما اهتدى الى أنوار المطار اخطره بذلك .

ودار بالطائرة على هدى من المؤشرات بادىء ذى بدء ، حتى اذا ما اقترب من سطح الأرض اخطره كوكروفت بأنه تمكن من رؤية الأضواء . وبناء على هذا اتجه ليمنج بالطائرة ليدور دورة الهبوط مسترشدا بما قاله ضابطه الأول من ان هذه الأنوار تحدد ممر الهبوط .

وفجأة . تبين ليمنج بنظر القائد المحنك المجرب ان هذا الممر المزعوم ، ما هو الا الشارع الرئيسي الكبير في مدينة كنجستون . فصرخ .

الى اعلى بكل ما في المحركات من قوة .

وزارت المحركات وتمكن في آخر لحظة من تفادى نتيجة هذا الخطأ الجسيم . ثم مال بالطائرة لينحرف بها عن قمم الجبال وذراها وبذل مجهودا جبارا حتى صعد بالطائرة فوق ارتفاع الامان . وما ان اطمأن الى نجاة الطائرة من كارثة محققة كانت ستتردى فيها نتيجة لخطأ كوكروفت ، حتى صرخ في وجهه قائلا :

ــ ايها الدعى الجاهل الأحمق .

وكان يهتز غضبا ويتأمل راحتيه وقد تصببتا عرقا من فرط ما اجهد همايه . ثم اصدر اوامره بالاتصال ببرج المراقبة واخطاره بان الطائرة ستهبط بالمطار البديل فى ناسو لرداءة الجو فى كنجستون .

ولم يكن الضابط الاول كوكروفت قد نطق بحرف واحد بعد ما وقع فيه من خطأ ، ولم يعقب بشىء على ما وجهه ليمنج اليه من الفاظ قاسية ولوم جارح . وما أن هبطت الطائرة ، ابزى انكل بهم فى مطار ناسو وتوقفت محركاتها ، حتى قال فى صوت خفيض :

ـ انى جد آسف يا سيدى .. جد آسف من كل قلبى .

ولم تطاوع ليمنج نفسه ان يعيره التفاتا . فنهض عن مقعد القيادة وهبط الى ارض المطار ، واتجه فورا الى غرفة العمليات لاعداد ما يلزم للرحلة التالية الى برمودا .

وهناك تظاهر بانه يرى ضابطه الأول لاول مرة . فالتفت اليه قائلا فى تؤدة متعمدة :

ـ انك لم تخبرنى يا مستر كوكروفت ، بماذا كنت تتصرف عندما تجابهك العواصف .. وانت تقود طائرتك ؟ .

ـ ٢ ـ

ولم يشر ليمنج بشىء الى ما كان من امر كوكروفت ، فى تقريره الذى قدمه عن الرحلة الى مدير الخطوط الجوية للشركة بمطار ناسو . وكان كل ما تحدث عنه ، خاصا بسوء الاحوال الجوية التى حالت بينه وبين الهبوط فى مطار كنجستون واضطرته الى مواصلة الطيران الى ناسو . أما عما بدر من كوكروفت عندما أرشده خطأ الى الشارع الرئيسى بكنجستون على انه ممر الهبوط بالمطار ، فقد أرجأ الاشارة اليه لحين كتابة تقاريره السرية عن العاملين معه عند عودته الى لندن .

وقرر انه سيضمن تقريره عن كوكروفت رأيه فيه وفى عدم صلاحيته اطلاقا . وتأكيدا لذلك واشعارا له برأيه فيه ، تجاهل

امره طوال الخمس ساعات التى قطعت فيهما الطائرة المسافة من تاسو الى برمودا ..

والتقى ليمنج بكيلستون ، لاول مرة منذ لقائهما الاخير بلندن ، لانه كان عليه ان يسلمه قيادة الطائرة ايزى انكل . واستفسر منه كيلستون عن سبب هبوطه بمطار تاسو ، فاجابه بان ذلك راجع الى سوء الاحوال الجوية فوق مطار كنجستون . وتبادلا بعض المعلومات عن حالة الطقس والرؤية ، ثم انتقلا الى الحديث عن القاء فترة الراحة بجزر الآزور .

ولم يخف كيلستون امتعاضه من هذا القرار . واحتدت بينهما المناقشة ، ليمنج باعتباره صاحب الاقتراح واول مؤيد له ، وكيلستون بصفته المعارض الوحيد له . وآثر ليمنج أن يحول دفة الحديث عن هذا الموضوع . لانه كان يعرف سر تحمس كيلستون للابقاء على هذه المحطة الليلية . ونجح فى ذلك فعلا . ولكنه فوجىء بكيلستون يسأله عن ضابطه الاول . ورأى الا يخبره بشىء عن تفاصيل ما كان منه لأن هو المسئول الاول والأخير عن كل ما يجرى بالطائرة . ولم يجبه باكثر من انه شديد الثقة بنفسه لدرجة المغالاة فى ذلك . فضحك كيلستون وقال له ان ضابطه الاول على النقيض من هذا ، لأنه ضعيف الثقة بنفسه هياب وجل .

***

لم يستطع كيلستون ان ينال قسطه من الراحة ، لأنه لم يطمئن الى الاعتماد على ضابطه الأول فى التناوب معه فى قيادة الطائرة . علاوة على انه لما اراد ان يحاول ذلك فعلا ، ايقظه الضابط الاول بعد ربع ساعة من استرخائه فى مقعده . وفى الحق ان الرحلة لم تكن فى ساعاتها الأخيرة مريحة فعلا ، مما اضطره لاخطار مطار سانتا انا بالاستعداد لهبوطه بطائرته .

وقابله مدير الخط ، مستر رادلى ، عند الطائرة ثائرا منفعلا :

ـ ولكن : لماذا اخترت هذه الجزيرة بالذات ، كان بوسعك مواصلة الطيران حتى لشبونة ؟.

وفى الحق كان كيلستون متعبا مجهدا ، فمضى فى سبيله الى غرفة العمليات غير عابىء بمدير المحطة ، الذى كان يسرع الخطى ليلحق به مستطردا :

ـ كان من الممكن ان تجد ما تنشده من راحة فى لشبونة يا كابتن .

فتوقف الطيار عن السير فجاة . والتفت اليه سائلا :

ـ كم الساعة الآن يا مستر رادلى ؟ .

فتأمله المدير مندهشا وأجابه :

ـ لماذا ؟ انها العاشرة ! .

ـ بمعنى اننا سنصل الى لشبونة حوالى الساعة الرابعة صباحا مع فارق التوقيت . فاذا كان لنا أن ننال قسطا من الراحة ، فليكن هنا .. هل اتصلت بفندقى كاربراس وكاسل ؟.

فطمانه رادلى بأنه قد اعد كل شىء .. وأردف قائلا بأنه من الممكن الغاء هذا كله ، ان فى ذلك من النفقات ما كنا فى غنى عنه .

وتظاهر كيلستون بأنه لم يسمع شيئا ، وقال له مؤكدا عزمه :

ـ سننطلق فى الثامنة صباحا .

ـ ثم مضى الى بهو الاستقبال حيث كانت كاربنا فى انتظاره . واستقبلته قائلة :

ـ يا لها من مفاجاة ! .

ولكنها لاحظت انه متعب مجهد ، واستقلت معه السيارة الى الفندق ، وتاكدت مما لاحظته من حالة الارهاق التى بدت عليه عندما مال براسه فى غفوة على كتفها .

وعاونته على ارتقاء الدرج الأمامى الفندق وسمعته يقول لها :

ـ لست ادرى ماذا الم بى . اننى لا استطيع ان اتحكم فى خطواتى ..

وما ان احتوتها غرفته .. حتى اسند راسه المكدود الى صدرها وراح يبثها غرامه ويؤكد لها حبه فقالت له :

ـ يجب ان تستلقى فى فراشك لتستريح .

ـ على أن توقظيني بعد ربع ساعة .

فأودعت جبينه قبلة حانية ، ووعدته بتنفيذ ما سألها اياه ثم استغرق فى نوم هادىء عميق .

جلس ليمنج فى حديقة فندق ساراسين ، نشطا قويا بعد أن قضى سبع ساعات فى نوم عميق . وشعر بانه راض عن نفسه لأنه لا يستغل ساعات راحته فى اللهو والعبث كغيره من زملائه . وها هو يجد راحته فى تلك الجلسة التى يقضيها فى الحديث مع ابلباى ، ملاح الطائرة ، الذى كان لا يرتاح الى سماع صوته من قبل! . وسمعه يقول له :

ـ اظن ان الأمر سينتهى بكوكروفت الى الزواج ، اذا ما استمر فيما هو فيه .

ـ يلوح لى انه يكثر من الاختلاط بالمضيفة .

ـ يا لها من فتاة . جذابة تسر الناظرين .

وحول ليمنج دفة الحديث الى شئون الطيران . فهو موضوع غير شائك بعيد عما يضنى ولكنه لم يستطع فى الوقت نفسه ان ينصرف بذهنه عن التفكير فى ليبى شالونر .

اذ تملكه شعور قوى بأنه يفتقدها ويفتقد ثرثرتها . بل وبلغ به هذا الشعور حد افتقاده لنزقها وطيشها ومرحها . وانه ليأسف فى تلك اللحظة بالذات على ما كان منه من محاولة التخلص منها . وكان يتوق أن يعود ليتمتع بقربها . وشعر بالغيرة من اختلاط كوكروفت بها .

وحاول فى اليوم التالى أن يظل مسيطرا على نفسه ، واجتهد الا يفلت منه زمام اعصابه وهو يستمع الى مشاريعها العابثة مع كوكروفت عندما جلسوا جميعا الى مائدة الافطار ثم الغداء من بعد ذلك ، ورآها تتبسط معه .

ورأى ليبى ، بعد ظهر ذلك اليوم ، تغادر الفندق بمفردها الى هاميلتون لابتياع بعض ما ترغب فى حمله الى انجلترا معها . وتبعها

من كثب الى المدينة ، ولحق بها قبل ان تدخل احد الحوانيت وتأبط ذراعها قائلا :

ـ ... ليبى ، ان لى حديثا معك .

فحملقت فى وجهه متظاهرة بالبراءة وهى تقول :

ـ او حديث آخر يا كابتن ؟ ترى ماذا ارتكبت فى هذه المرة ؟ .

ـ لا شىء .. كل ما اريده ان يصفو الجو بيننا .

ـ وماذا جد من الأمور ؟ .

ـ انك لا تفهمين .. ان كاهلى مثقل بالكثير من التبعات .

ـ هذا يعنيك وحدك ولا يعنى غيرك .

ومشى بها حتى بلغ أحد المقاهى ، ودعاها للدخول معه ، وبعد أن استقر بهما المقام حاول التفاهم معها مرة أخرى قائلا :

ـ الم يبلغك ما يتحدث به الناس عن كيلسنون ؟ .

ـ وما شأنى انا بذلك ؟ .

ـ لا شأن لك بذلك . ولكن ..

ـ ولكن ماذا ؟ .

ـ ولكننى لا اريد ان تتكرر المأساة معنا ويتقول الناس علينا .. لست احب لك ولا لى مثل هذه المتاعب .

ـ انهم لم يتمكنوا من ذلك حتى الآن .

ـ اجل ادرك حقيقة ما تقولين .. ومهما يكن من امر ، اننى ارجو أن تستمر صداقتنا .

ـ افصح عما تريد قوله يا ميشيل .

ـ كل ما فى الامر اننى اميل اليك .

ـ فليكن وأنا بدورى اميل اليك . ولم ادخر وسعا من قبل فى الكشف عن شعورى هذا .

ـ اعرف ذلك ، اعرف ذلك . دعينا ننسى ما كان .

فرنت اليه بابتسامة اودعتها صفحها وكل مشاعرها ، ثم نهضت عن مقعدها مستأذنة فى شراء ما تريد قبل آن تغلق الحوانيت ابوابها . وعاد ادراجه ولم يلتقيا الا ساعة العشاء ، حين اقبلت

على المائدة تخطر فى ثوبها الاسود الذى كانت ترتديه فى تلك الأمسية بيناما .. ولكنها كانت تخص بعنايتها كوكروفت ، الذى انصرفت فى صحبته بعد العشاء مباشرة .

وجلس ليمنج فى البار يحتسى بعض أقداح الجعة ، وراح يقلب الأمر على كل وجوهه ، وقد امضه انصرافها مع كوكروفت على خلاف ما كان ينتظره منها بعد تفاهمهما .

وتثاقلت الساعات فى مرورها ، وخلا المكان من كل رواده الا منه ، وسكن الليل واحس بوحشته مع وحشة نفسه ، واضطجع على مقعده فى شبه غفوة صحا منها ليجدها أمامه كطيف الاحلام تداعب باصابعها شعر رأسه وتحنو عليه بقبلة الصفح الجميل .

وفى طريق العودة الى الوطن بالطائرة ايزى زيرا ، اتاح ليمنج الفرصة لكوكروفت ان يتولى قيادة الطائرة فى معظم مراحل الرحلة حتى يطمئن الى حكمه على كفاءته ولا يأخذه بجريرة خطأ واحد كانت له ظروفه .

وظل يراقبه طوال الوقت الذى قطعت فيه الطائرة المسافة الى جزر الآزور . وانتهى من ذلك الى ان كوكروفت تنقصه الخبرة المستمدة من تكرار الممارسة العملية التى تهىء لصاحبها الكفاية والقدرة .

وقابله بمطار سانتا انا مستر رادلى : مدير المحطة ، واخبره بأن كيلستون توقف بالجزيرة طلبا للراحة ، وتساءل عما اذا كان ليمنج سيحذو حذوه ؟ . وطاب المدير نفسا عندما اكد له ليمنج انه سيواصل طيرانه راسا بعد التزود بالوقود .

وفى مدريد ترك لكوكروفت مامورية الهبوط بالطائرة فى مطارها . ولما التفت اليه ضابطه الاول ليطمئن على رايه قال له :

ـ لا باس . ينقصك الكثير من الممارسة العملية فقط .

ووصلت الطائرة اخيرا الى مطار لندن . وارجا ليمنج تقديم تقاريره السرية عن افراد الطاقم جميعا ، ليعطى الفرصة لكوكروفت الى رحلة اخرى .

أما عن التقرير المقدم من كيلستون عن رحلة الطائرة رقم٥٦٩ه من برمودا ـ الآزور ـ لشبونة مدريد ـ لندن ، فقد أعاد فيتش قراءته غير مرة ، ثم رأى أخيرا ان يتحدث بشأنه مع أحد المسئولين . ولوح به في وجه فيذرستون قائلا :

ـ اقرا . اقرا وتمعن . ثم خبرني برايك فيه .

وكان تقريرا مطولا ، ضمنه كيلستون تفاصيل رحلته بما فيها الأسباب التي دعته للتخلف في جزر الآزور .

وعلم من التقرير ان الطائرة تأخرت عن موعدها حوالي العشر ساعات .. وتناقش في ذلك مع مستر فيتش ، ولكنه لم يفصح عما كان يريد فيتش أن يفصح عنه ويدور بخلده عن السبب الحقيقي لهذا التأخير .

واضطر فيتش ان يطرق الموضوع بصراحة ، مما حدا بفيذرستون مضطرا هو الآخر ان يوافقه على رأيه من أن الدافع لهذا التصرف من جانب كيلستون كان علاقته بهذه المرأة . الا انه في الوقت نفسه أبدى رأيه بأنه لا حاجة بفيتش أن يقيم الدنيا ويقعدها لهذا السبب .. فقال له فيتش :

ـ ان شئون كيلستون الخاصة لا تعنيني في كثير او قليل . ان الموضوع ابعد من ذلك مدى . انه يعقد الأمور فيما يتعلق بقرار الغاء التوقف الليلي في الآزور . انه الوحيد الذي يقف معارضا قرار الشركة في هذا الشأن . ولذلك اريد ان اعرف منك رأيك بصراحة فيما ورد بهذا التقرير .

ـ قد يكون رأى المهندسين اكثر واقعية من رأيي .

ـ ان ليمنج لم يشر بشيء في تقريره عن تلك المتاعب بالرغم من انعقام بالرحلة نفسها .

ـ لقد قلت لك . انها المرأة . فتش عن المرأة كما يقولون .

الجزء السادس

منتصف ربع الدائرة
الشمالي الغربي
٢٠ ديسمبر - ١٠ يناير

- ١ -

جلست فيرونيكا كيلستون ، امام المرآة بمنزل والديها في لندن ، تصلح من زينتها وتصفف شعرها . وبعد مرور شهرين بدات تشعر بتذمر والدها وضيقه بما يحدثه ولدها من جلبة وضوضاء تعكر صفاء ما يحتاجه الشيخان من هدوء . ولم يكن يضايقها من فراقها عن زوجها وتركها لمنزلها الا هذا الموضوع.

وكانت تعنى بزينتها في هذا اليوم بالذات ، لانها كانت قد دعت أيفور جيليت لزيارتهم ، وهو زميلها في عملها الذي الحقت به بعد فراقها عن زوجها . وكانت معجبة به وبارائه ، ماخوذة بوجهة نظره عن الحياة الزوجية .

وبينما كانت تستكمل زينتها ، سمعت رنين جرس الباب ، ولم يكن بالمنزل احد غيرها ، حيث كانت والدتها في زيارة لبعض الاصدقاء مصطحبة حفيدها معها . فتريثت قليلا باعتبار انه أيفور جيليت وقالت لنفسها :

انها لا يجب أن تشعره بتلهفها وانتظارها له خلف الباب كما يقولون . وسمعت رنين الجرس مرة اخرى . فاتجهت الى الباب وفتحته قائلة :

ـ اهلا .

ولكن القادم لم يكن جيليت . لقد كان ميشيل ليمنج ، الذي رد تحيتها قائلا :

ـ هيللو فيرونيكا !.

فحاولت مسرعة الا يلاحظ شيئا مما اختلج به وجهها ؟ ورحبت به معلنة انها تنتظر صديقا دعته لتناول الشاي . فقال لها :

ـ لن اضايقك بوجودى . ان لى حديثا قصيرا معك .

ـ فلتتفضل بالدخول . . انها لمفاجاة لى .

وتقدمته الى غرفة الجلوس ، فجلس على الاريكة وراح يدور بعينيه فيما حوله قائلا :

ـ شقة والديك ، اليس كذلك يا فيرونيكا ؟.

ـ أجل .

ـ انها اصغر من أن تسعكم جميعا .

ـ اننا نتدبر امرنا يا ميشيل .

ـ هل يضايقك أن نتحدث قليلا فى الموضوع ؟ وعلى الأخص لان عيد الميلاد على الابواب .

ـ ان الامر شاق عسير . . . عيد الميلاد ! بأى حال عدت يا عيد . . وخفضت بصرها حتى لا يرى ما فى عينيها من اسى .

ـ لست بحاجة لان اوضح لك أسفنا انا وزوجتى لما وقع بينكما .

ـ شكرا . . شكرا لكما .

ـ ولقد فوجئنا بما كان من امرك .

ـ من امرى انا ؟.

ـ لانك سلمت على طول الخط .

ـ وماذا كنت تظننى فاعلة ؟.

ـ اننى لا اريد الا مساعدتك .
ـ ماذا تعنى بقولك اننى سلمت على طول الخط ؟.
ـ لانك تركت منزل الزوجية . ولم تصمدى امام العاصفة .
ـ ولكننى لن امكن مارك من الطلاق . وقد صارحته بذلك .
ـ ولماذا لم تحاربى هذه المرأة ؟ وانك لتتفوقين عليها بعدة أسلحة : بالزوجية . بولدكما . ببيتك .
ـ ميشيل ..لقد كانت الصدمة شديدة الوقع على نفسى.. كانت مفاجأة اذهلتنى وجرحت كبريائى .
ـ اننى مقدر لشعورك . ولكنك الآن ، تستطيعين مواجهة الأمر بهدوء وثبات ... لست أول من يتعرض لمثل هذه المتاعب، وما كان من مارك ليس الا نزوة طارئة .. ومارك لم يعد شابا أو صبيا نزقا .. انه رجل مكتمل الرجولة .. تعرض لما تعرض له نتيجة لتغيبه عن بيته معظم ايامه .. ثم أن هناك الكثيرات من النساء فى طريقه .. ثم انك ..
ـ ولكنه صارحنى بانه يحبها ؟ .
ـ ما اظنه بهذا قد عبر عن حقيقة شعوره .. كلا .. انها الظروف المهيأة فى ذلك الوقت . لا علينا من هذا . ان الفرصة مهيأة لك الآن .. انها فى جانبك .
ـ ماذا تعنى ؟.
ـ أعنى ان المحطة الليلية قد الغيت . وأنه لن يجد الفرصة التى كانت متاحة له من قبل؟ .
ـ اذن فلن يتاح لهما هذا اللقاء الطويل ؟.
ـ بلى . وما اظن مارك الا مقدرا لهذا الوضع الجديد . وما اظنه مضحيا بعمله فى الشركة وضاربا بقرارها عرض الحائط . لقد انتهت هذه العلاقة ، فى رايى ، وانقضى امرها .
ـ شكرا يا ميشيل . شكرا لاهتمامك بايضاح حقيقة الامر لى .
ـ ولقد اردت أن اطلعك على الوضع الراهن لكى تكافحى

وتناضلى فى هـذه الظروف المناسبة دفاعا عن كيانك وعن ابنك .. وعن نفسك .

ـ شكرا يا ميشيل .. اننى ادرك ما تعنيه .

ـ اذن .. ستعملين بنصحى ؟

ولم تعقب بشىء . واتجهت الى النافذة تتطلع الى السماء . فنهض ليمنج عن مجلسه واقترب منها قائلا :

ـ يحسن بى ان انصرف الآن . ارجو الا اكون قـد اثقلت عليك .

وعادت بعد ان ودعته عند باب الشقة مكـررة شـكرها . وساورها القلق عندما تبينت ان الساعة قد جاوزت الخامسة والنصف ولم يحضر بعد ضيفها المنتظر . وراحت تذرع غرفـة الجلوس لا تستقر على حال . ثم جلست تقطع الوقت فى القراءة، ولكنها لم تستطع ان تعى ما امام عينيها من سـطور ، لانها كانت تشرد بذهنها الى التفكير فى الغائب الذى لم يحضر .

واخيرا سمعت رنين الجرس . فلم تتلكأ فى هذه المـرة ، بل نهضت مسرعة لتفتح باب الشقة وهى تكاد آن تطير فرحا . وفتحت الباب لتجد والدتها وابنها امامها . ولما دخلت والدتها ولاحظت أن الشاى المعد لم يمس قالت لها :

ـ الم يحضر صديقك ؟ .

ـ لقد اعتذر تليفونيا عن الحضور لدواعى العمل .

***

وتمكن ميشيل ليمنج من قضاء ليلة عيد الميلاد فى منزله مع زوجته ميلانى . وجلس امام المدفأة ينعم بتأمل نيرانها المتوهجة . وفجأة سمع زوجته تقول له :

ـ ماذا يشغل بالك ؟ ماذا بك ؟ .

ـ لاشىء .. اننى متعب لاننى لم انل قسطى من الراحة الليلة الماضية .. هذا كل ما فى الامر .

ـ انك تجهد نفسك فعلا . اولا بعملك . وثانيا .. بما تبذله

من مجهود فى الحديقة ابان عطلتك . وثالثا بترددك على المطاعم كثيرا فى ايام راحتك .

ولم يكن قد اخبرها بزيارته لفيرونيكا ولا بزيارته لليبى فى شقتها ببيكر ستريت . وهو غير متعب او مجهد ، ولكنه منشغل البال فعلا بالتفكير فى انه يكاد ان يشبه كيلستون فى وضعه . كل الفرق بينهما ان امره لم يذع ولم يصبح حديث الناس بعد . وعاد مرة اخرى ليفكر فى وجوب قطع هذه العلاقة قبل ان يستفحل امرها .

* * *

استفسر كيلستون من سكرتيرة مستر فيتش عما اذا كان من الممكن ان يقابله . وبعد ان تأملت الرجل الواقف امامها قالت له:

ـ ساخطره بقدومك يا كابتن كيلستون .

ونهضت الى غرفة مكتب مدير الخط .. وبعد خمس دقائق خرجت اليه تبتسم ابتسامة مصطنعة وهى تقول :

ـ آسفة .. مستر فيتش مشغول جدا .

ـ اذن .. متى اتمكن من مقابلته ؟.

ـ لن يكون هذا قبل ساعة او اكثر .

ـ اذن فلتحددى لى معه موعدا . ساعود بعد ساعة .

وكان نافذ الصبر وهو يقول لها هذا . فتأملته غير واثقة من امكان تحقيق هذا وقالت :

ـ سأسأله ذلك .

واخيرا انصرف كيلستون بعد ان ابلغته الفتاة بتحديد الساعة الرابعة والنصف لمقابلة مستر فيتش . وكان عليه ان يطير فى اليوم التالى بعد راحة دامت اربعة ايام بلندن خالها دهرا ، لانه كان يتحرق شوقا للقاء المعهود .

وفى الساعة المعينة دخل غرفة مكتب مستر فيتش الذى ابتدره قائلا بعد ان دعاه للجلوس :

ـ اية خدمة يا كابتن كيلستون ؟.

ـ رايت انه يحسن بى ان اتولى شرح موضوع طلبى للتوقف الليلى .

ـ كنت مدفوعا الى ذلك بالحرص على راحة الملاحين . اليس كذلك ؟.

ـ ولقد جئت لمقابلتك لاوضح الامر لك فوجدتك مشغولا .

ـ آسف . ان اعمالى متشعبة كثيرة كما تعلم . هات ماعندك.

وبين له كيلستون وجهة نظره على اســاس من انه يصعب الاعتماد على الطيارين المساعدين فى قيادة الطــائرة بعض الوقت الذى يستريحه الكابتن فى حالات الطيران البعيد المدى . ومن هنا يبدا الاساس الذى يبنى عليه اعتراضه على الغاء المحطة الليلية .

وتناقش الرجلان فى الامر . ودافع كيلســتون عن رايه من جميع النواحي الفنية والعلمية .. ولم يستطع فينش ان يقارعه الحجة بالحجة ، لأن وجهة نظره لم تكن غير الاقتصاد فى النفقات تنفيذا لرغبة رؤسائه . ولما ضاق به ذرعا قال له ببرود :

ـ والآن يا كابتن كيلستون ، اريد ان اســمع منك ما تراه من علاج بديل لما رايناه نحن ؟.

ـ انك تعرف ان العلاج الوحيد هو فى الابقــاء على محطـة الآزور الليلية . ان الطيارين يجب ان ينالوا قسطهم من الراحة خلال الرحلة .

ـ ان الشركة تنفق الكثير على هذه المحطة .

ـ وحياة الركاب والملاحين فوق كل تقدير واعتبار .

وتأزم الموقف . واستبد الغضب بالرجلين . وقال له فينش محتدا :

ـ عليك ان تقود الطائرة التى تعينها لك الشركة فى المواعيد المحددة الى الجهات المعينة . اما ماعدا هذا فليس من شأنك . فاذا كان العمل فى الشركة لا يروق لك ..

ـ افضل ان انصرف الآن . وانى لادعو الله ان اكون مخطئا فى تقديرى والا يصدق ظنى .

وانصرف تاركا فيتش فى لجة من التفكير العميق ، لأنه بالرغم من معارضته لكيلستون ، كان يرى فيما تحدث به اليـــــه بعض الصحة . وحاول أن ينفض عن نفســه ما علق بها وان يجمع شتات ذهنه ويركز تفكيره فيما امامه من أوراق اخرى .

- ٢ -

قبل أن يعود كيلستون الى غرفته بعد مقابلته لفيتش ، عرج فى طريقه على احد المطاعم الهندية . وكان متعبا يائســـا . ان احدا لا يريد ان يصغى اليه .. حتى الزملاء الذين كان يرجو أن يؤيدوه، رغبوا عن الانضمام اليه والاستماع له . وانه ليرجو بعـــد هـذا الاجماع الذى يلمســه أن يكون واهما فيما يتوقعه مادام انه هـــو الوحيد الذى يرى هذا الرأى .

ولكنه بالرغم من رجائه هذا ـ يجد نفســه وقد عاد اليه تشاؤمه وعدم ارتياحه . وتناول طعامه متمهلا وهو مستغرق الفكر ،وشعر بحالته المعنوية تتحســن عندما بدا يفكر فى لقائه بكارينا فى الغد ، بالرغم من ان هذا اللقاء لن يستغرق أكثر من ساعة ريثمــا تتزود الطائرة بالوقود اللازم لها .

وعاد الى غرفته ليفاجأ بفيرونيكا زوجته جالسة بجوار موقـد البترول ، فقال لها :

ـ أهلا فيرونيكا .

ـ لعلها مفاجأة غير سارة .

ـ كلا . هناك من الأمور ما يشغلنى . وهى بعيدة عنك .

وتأملها وهى جالســة فى مقعدها منتصبة القامة تبدو من عينيها ملامح القلق والشقاء . وسمعها تقول له :

ـ مارك . لقد عدت اليك .

فقال لها وهو يجلس غير مصدق لما سمعه :

ـ ما اظنك جادة فيما تقولين ؟.

ـ انني أعني ما اقول فعلا . انك لم تزل زوجي . وبمجـــرد أن نستاجر شقة فسيحة نعود للعيش مع ولدنا الوحيد و ...
فقاطعها قائلا :

ـ فيرونيكا ، لقد انتهينا من كل ذلك . او سنخوض في هذا الحديث مرة اخرى؟.

ـ ادرك هذا . ولقد فكرت في الامر منذ ان افترقنا . مارك ! لقد اقبل عيد الميلاد !

ـ لقد افصحت لك عن رغبتي وصارحتك بان الطـــــلاق هو سبيلنا الوحيد .

ـ مارك . ان كل ماابغيه منك هو ان تعطيني فرصة لاول مرة في حياتي معك . وفي الحق انني تغيرت كثيرا .

ـ اشك كثيرا فيما تقولين .

ـ انك قاس عنيف .

ـ كلا .. ليس الأمر كما تتصورين . انني في دوامة من الفكر لا ترحم ولا تهدأ . انه الطلاق وحده الذي قد يضع حدا لكل ذلك.

ـ انك لا تفكر الا في نفسك .

ـ انه خير علاج لنا جميعا . ان زواجنا لم يكن زواجا موفقا . ولقد حاولنا ان نجعل منه غير ذلك من قبل فلم نوفق .

ـ اذن فلتعلم انني لم ازل عند رايي . لن يكون هناك طلاق .

ـ وانا قد وجدت سعادتي بعيدا عنك .

ـ انك لن تستطيع ان تراها بعد الغاء المحطة .

ـ ومن أخبرك بهذا ؟.

ـ ميشيل ليمنج . ميشيل ليمنج الذي يريد أن يصلح بيننا .

ـ ليس هذا من شانه . ومهما يكن من امر ، فلن يغير هذا من رايي في كثير او قليل .

فنهضت غاضبة وهى تقول له محتدة!

ـ لقد فقدت عقلك ، ليس فى هذا من شك .

ثم اشارت اليه باصبع محذرة منذرة واستطردت :

ـ شيء واحد اريد ان اقوله لك قبل أن أنصرف.اياك وان تفكر فى ترك عملك من أجلها . انك مسئول عن الاسرة التى تعولها . مسئول عن ابنك جون . مسئول عنى.مسئول عن نفسك .مسئول عن مستقبلك .

واسند راسه بيديه . ومع وقع خطواتها الغاضبة ، تأرجح فكره بين ما سمعه منها وبين ما كان يدور بخلده .

والتقى بليمنج فى صباح اليوم التالى . كان متجها الى طائرته ايزى دوج عندما ابصر به يستحث الخطى الى غرفة العمليات . ووقفا يتحدثان عن العمل ، ومن هذا الحديث عمد كيلستون ان ينتقل الى موضوع المحطة الليلية ومنه الى تدخل ليمنج بينه وبين زوجته ، وساله أن يبتعد عن هذا الموضوع ، معللا هذا الطلب بأن لكل شخص ظروفه الخاصة . وغلت مراجل الغضب فى صدر ليمنج . وبينما كان يستعد للرد على كيلستون ، سمع ليبى شالونر تحييهما تحية الصباح فى غير كلفة ، وكانت فى طريقها الى غرفة العمليات لتتسلم امر التشغيل بطائرته . فحار فى امره ، ايهما يصب على راسه جام غضبه ؟ على كيلستون ام على هذه الفتاة العنيدة ؟ .

تلك الفتاة اللعينة عادت الى فعلتها مرة أخرى .

وبعد ساعة كان ليمنج ينطلق بطائرته ايزى انكل فى سماء لندن . وما ان اعتدل بالطائرة فى طريقه الى مدريد،حتى تزاحمت الأفكار فى راسه ، وتدافعت من كل اتجاه .. فقد ترك زوجته ميلانى ساخطة ناعية حظها لان زوجها لم يقض معها من عطلة عيد الميلاد الا ثلاثة ايام من ثمانية كان قد وعدها بها ولم يتمكن من الوفاء بوعده لدواعى العمل . وها هو كيلستون لا يقدر له حسن صنيعه بتدخله بينه وبين فيرونيكا لصلحته ومصلحة ولده . وها هى ليبى تتوج كل هذه المضايقات بنزقها وتصميمها على أن تلاحقه .

ورای فيما رآى ، نتيجة لاستعراضه كل تلك النقاط ، ان اهم ما يجب ان يوليه عنايته هو موضوع كيلستون . وتبين انه كان أولى به ان يتصل بكارينا ليطلعها على حقيقة الموقف .

وما ان اجتاز المجال الجوى للشبونة ، حتى اختمرت الفكرة فى رأسه وعقد العزم على مقابلتها والتفاهم معها .

ولم يكن يتوقع أن يراها فى مطار سانتا انا . وكان قد انتوى ان يتصل بها تليفونيا بمجرد هبوطه الى أرض المطار . ولفرط دهشته وجدها تغادر المطعم لحظة وصوله . وتذكر ان كيلستون كان قد سبقه فى القيام بحوالى الساعة . وانها كانت بالمطار لتلتقى به ، وانه قد استبقاها معه اطول وقت ممكن ، حتى انه لم يغادر المطار الا فى آخر دقيقة .

ولم يتردد ليمنج فى تنفيذ ما عقد العزم عليه . وها هى الفرصة تأتيه بين يديه . ورأى أن يعجل بانتهازها ، فاسرع لمقابلتها قائلا :

- الكابتن ليمنج ، من أصدقاء مارك .

ومدت له يدها وهى تبتسم فى حياء قائلة :

- وانا كارينا ، أظن انك تعرف كل شىء .

- اجل .. اعرف . هل تسمحين لى بنصف ساعة من وقتك ؟

ورحبت بعرضه وعادت معه الى المطعم . وبعد أن استقر بهما المقام ، بدأ الحديث قائلا :

- اظن انك رايت مارك قبل انطلاقه منذ برهة وجيزة ؟.

- اجل . ولم يمكث الا قليلا .

وكان يريد ان يتلمس طريقه الى الدخول فى الموضوع رويدا رويدا . وهذا يقتضى منه بعض الوقت . وما لديه من وقت لايكاد أن يتسع للموضوع نفسه . واخيرا رأى ان يمس الموضوع مسا رقيقا بقوله :

ـ ولكن ماذا تجدى الساعة او ضعف الساعة ؟ هل تسمين هذا الوضع حياة ؟. هذه هى حياتنا التى قسمت لنا وفيها تحطيم لحياة كلستون العامة . الادارة تعرف كل شىء عن هذه العلاقة والناس يتقولون ويتندرون .

ـ ان الاقاويل والاشاعات لا تعنينى فى كثير او قليل . ان الناس يجب ان يجدوا هدفا لاقاويلهم . فاذا لم أكن انا هذا الهدف. فستكونه انت .. أو غيرك .

ـ وحياته الزوجية التى تنهار بسببك .

ـ ان حياته الزوجية كانت منهارة فعلا . انك تعرف هذا .

ـ انه لن يحصل على الطلاق من زوجته . ثم انك لا تستطيعين دخول انجلترا . ولن تستطيعا اللقاء الا لبضع ساعات فى كل شهر . فهل ترين فى ذلك الحياة التى ...

ـ انك لا تفهم ، ولا تريد ان تفهم ، ولن تفهم .

واطرق مفكرا . ثم قال لها :

ـ بل اريد ان افهم .

ـ انه الحب الصحيح . الحب الحق . الحب الذى يجعل من نفسين نفسا واحدة . انه الرابطة التى لا انفصام لها .. تلك الساعات القليلة التى تتحدث عنها ، هى حياة باسرها بالنسبة لنا. وما بينها من ساعات اخرى وايام واسابيع ، اتصال روحى لهذه الساعات القليلة . ان ترقب اللقاء فى هذه الساعة التى نلتقى فيها، هو حياة لها كيانها ومشاعرها من الامل والتمنى الحلو المسكين . وذكرى هذا اللقاء بعد تلك الساعة ، حياة اخرى نعيشها وننعم بذكرياتها . انه الحب يا مستر ليمنج .

ـ والخطأ ؟ والصواب ؟ وزوجته ؟ وولده ؟.

ـ ان من يحب حبا صادقا مجردا عن الهوى ، لا يعتقد انه يرتكب اثما . اما الزوجة والولد ، فلن يضارا بشىء .

ـ انى كصديق له يمكننى ...

ـ انك لست صديقه ، ولا صديقا لاحد ، ولا صديقا لنفسك ايضا .

ثم نهضت واعتذرت له وشكرته . فنهض بدوره ومد لها يده مصافحا وهو يقول :

ـ كنت ارجو ان تفهميني .

ـ وانا بدوري كنت ارجو ان تفهمني .

وادرك انه فشل في مهمته . وشعر بخيبة امله .

وانطلق ليواصل رحلته الى برمودا ، ولم ير ليبي خلال ساعات الرحلة الطوال الا مرتين في لحظتين عابرتين . ولكنها تعمدت ان تلتقي به في بهو الفندق بعد انصراف النزلاء .

وعندما جلسا في بهو الفندق بعد ان خلا لهما المكان ، اكدت له ليبي ان سفرها في هذه الرحلة لم يكن بناء على طلبها ، فقال لها ان ثلاث رحلات متتاليات من الظواهر التي تثير الشك ، وان كل ما يطلبه منها هو التصرف بحرص وحذر . فوعدته بأن تصدع بامره . ثم نهض وغادر البهو منصرفا ، وكان يشعر بالقلق وعدم استقرار نفسه .

وفي ساعة الافطار في اليوم التالي ، التقى ليمنج بكيلستون الذي بدأ يسرد على مسامعه مواعظه الفنية عن حالة الطيران في تلك الأيام واهمال القائمين على امره من الاداريين الاخذ بتوجيهات الفنيين ومن يمارسون المهنة عمليا . وراح ينعى عليهم استهتارهم بأرواح الناس .

- ٣ -

بعد أسبوع من هذا اللقاء ، كان كيلستون في طائرته ابزى اكل ، وليمنج في طائرته ابزى فوكس ، يطيران جنبا الى جنب تقريبا في طريقهما الى الآزور . وقد ازدادت سرعة الطيارتين بفضل اتجاه الرياح المواتى لهما ، حتى انهما اقتربا من الجزيرة

قبل الساعة المعينة لهما بجدول التـــوقيت . الامر الذى كان من شأنه أن تجمعت فى المجال الجوى لهذه الجـزيرة ثلاث طائرات ، وذلك باضافة الطائرة ايزى زيرا التى كانت قادمة من الشمال بقيادة الكابتن فيريس .

وكان فيريس اول من هبط بطائرته أرض مطار ســانتا انا . واتجـه فورا الى مكتب ضابط الأرصـاد البرتغالى فى صحبة المستر رادلى مدير الخط . واطلعهما الضابط على خريطة موضح بها اتجاه موجة من الرياح الباردة مصحوبة بالسحب الممطرة ، وتمتد هذه الموجة من جزيرة ايسلند عبر الاطلنطى جنوبا حتى الآزور ،ثم تنحرف يسارا حتى تبلغ برمودا .

وعندما هبط أرض المطار كل من كيلستون وليمنج الواحد بعد الآخر . كانت الامطار قد بدأت تتساقط رذاذا . ورأى فيريس أن يستعسر من ضابط الارصـــاد عن مدى امكان الرؤية وارتفـــاع السحب فى مطار سانتا انا ، وعن الظروف المناسبة للانطلاق ، الى آخر تلك المعلومات التى لا غنى عنها لكل طيار فى الاحوال الجوية المتقلبة . وفهم من ضابط الارصاد فيما فهم ان الحالة«بين ــ بين» على حد تعبيره .

ولكن فيريس لم يقنع بذلك ، وطلب من الضـــابط مزيدا من المعلومات على اساس من واقع الجو الذى يراه من النافذة سيئا للغاية تتعذر الرؤية فيه الى مسافة قصيرة . وامسك بذراعه واتجه به الى النافذة ليريه ما رأى . فثار الرجل وارعد . وتصـــادف دخول كيلستون فى هذه اللحظة بالذات فدعش مما رأى وسمع ، ونظر الى فيريس مستفسرا . وما أن وقع نظر الضـــابط على كيلستون حتى انهال عليه بوابل من الاسئلة كان يجيبـــه عنهـــا كيلستون باللغة البرتغالية التى كان يلم بها . وبعد أن عاد الرجل الى مكتبه قال كيلستون لفيريس :

ــ لقد خيل للرجل انك تستهزىء به .

فنفى فيريس هذا عن نفسه قائلا .. انه اراد ان يقنعه عمليا بأن الجو قد انقلب فجأة .

ثم عاد الرجل ببعض البيانات فى الوقت الذى اقبل فيه ليمنج ليستطلع احوال الجو . وبعد مراجعتهم لهذه البيانات الواردة من مختلف محطات الارصاد . حمد الثلاثة ربهم انهم اســـتطاعوا ان يهبطوا ارض المطـــار قبل ان يتعذر عليهم ذلك لتعذر الرؤية عند الهبوط .

ووقف ثلاثتهم فى دهليز المبنى يتشاورون فيما بينهم عمـــا يعتزمون . ودارت المناقشـــــة بينهم وكان اول من بت برأى هو كيلستون الذى لا يرى بحال ما امكان الطيران ليلا فى هذا الجـــو وانه من الضرورى ارجاء ذلك حتى الصباح . اما فيريس فقد حزم امره هو الآخر ، ولكن على العكس مما قرر كيلستون . لانه يرى انه من الممكن ان ينطلق بطائرته ليلا . وعن ليمنج ، فقد كان متـــرددا لم يستقر بعد على قرار . ولما راى فيريس تردد ليمنج انتهز عودة كيلســتون الى مكتب الارصاد وقال له رايه بصراحة فى كيلســتون وفى سلوكه :

ـ لقد جعلت هذه المراة من الرجل الحديدى عجوزا شـمطاء لا حياة فيها ولا قوة .

وانصاع ليمنج لراى فيريس ، وخرج معه الى غرفة العمليـات ودهش مستر رادلى لمجيئهما . لان فى ذلك ما يعنى انهمـــا قررا الرحيل . مع انه كان مشغولا فى هذا الوقت باعداد اللازم لمبيت الركاب بفندق كاربراس . واعاد سماعة التليفون الى مكانها ليفرغ لمصافحتهما شاكرا لهما ما جنباه من عناء ، على العكس مما احرجه به كيلستون .

وفى هذه اللحظة بالذات ، اعلن المذياع تاخر سفر الطـــائرة قيادة كيلستون الى الصباح . فعلق فيريس على ذلك قائلا :

ـ نفس الشركة ونفس الطـــائرات . واحدة تبقى واثنتـــان تستانفان طيرانهما . ان فى ذلك لمدعاة لحيرة الركاب وتساؤلهم .

وكان باتس الملاح المرافق الليمنـــج فى هذه الرحله موجودا . فرفع نظره عما بين يديه من اوراق قائلا :

ـ ما اظن الركاب وحدهم هم الذين سيتساءلون!كابتن ليمنج، هل تفضلت بالتوقيع على هذه الاوراق ؟.

وفى طريقهما الى طائرتيهما ، قال فيريس لليمنج :

ـ هل رأيتها . . كانت هناك فى انتظاره . وهذا هو السبب فى انه قرر واختفى سريعا .

وافترقا ليستقل كل منهما طائرته . وصعد فيريس الى طائرته ايزى زيرا ، حيث وجد الملاحين كما توقع ، يتحدثون عن حالة الطقس . فدعاهم مبتسما :

ـ كل فى مكانه ، حتى ننطلق قبل الطائرة ايزى فوكس .

وفى الواقع ان جميع افراد طاقم الطائرة كانوا متعبين مجهدين، وراح كل منهم يؤدى عمله متثاقلا متكاسلا . كما اضطر فيريس أن يتأخر فى القيام لتاخر خمسة من الركاب فى العودة الى الطائرة . وبعد ان اعلن المضيف استكمال العدد ، أصدر فيريس امره بادارة المحركات . وقاد طائرته بحذر فى هذا الضباب ، وفى ذاك الجــو المكفهر .

***

بعد أن نهض ركاب الطائرتين المسافرتين ليحتلوا اماكنهم بهما، تخلف ركاب الطائرة ايزى انكل ، بعد ان استمعوا لحديث كيلستون عن سوء حالة الرؤية . وافروه على وجهة نظره بعد ما تبينوا فعــلا مدى كثافة الضباب ، وان كانوا قد صعب عليهم ، باديء ذى بدء ، تعليل بقائهم وسفر غيرهم فى نفس هذا الجو المكفهر .

وخرج كيلستون ليجد كارينا فى انتظاره . ولما علمت منه بانه سيتخلف حتى الصباح . طفح وجهها بشرا ، وبدت مرحة سعيدة . وسالته بعد ان استقرا بالسيارة عما عساه يقال عن سفر الطائرتين وتخلفه هو ؟ ثم تبدل حالها واعربت له عن مخاوفها وقلقـــها على وظيفته بالشركة .

فمال عليها يطمئنها ويبدد ما ساورها من مخاوف . . ولكنها بالرغم من ذلك جلست واجمة شاردة اللب . ثم امسكت بيـــده

وراحت تقبلها ظهرا لبطن .. وعاد اليها فرحها وعادت الى وجهها ابتسامتها . واخيرا قال لها كيلستون :

ـ فى الحق اننى لم اؤجل طيرانى الا لاننى كان يجب ان اتخذ هذا القرار حرصا على سلامة الطائرة بكل من فيها .

ثم اودعها قبلة عبرت عن كل ما يجيش بنفسه ويفيض به قلبه. واسندت راسها الى كتفه وكانها تحتمى به مما يجول بخاطرها ويتراءى لها من مستقبل مظلم يشبه هذا الضباب الذى يحجب الرؤية امامهما .

وتوقفت بهما السيارة اخيرا امام الفندق : ودلفا معا الى الدفء والنور ، فتبدد ظلام نفسها واستشعرت الحياة تدب فى اوصالها، بعد كل ما اشاعه الضباب والظلام فى نفسها من انقباض وشجن ، وانطلقت نفسها مع بريق الحياة « الحاضر لنا » ..

***

بعد ان اصدر فيريس امره بالانطلاق ، وارتفعت بهم الطائرة ابزى زبرا عن ارض المطار وجد مهندس الطائرة هوكنز ، صعوبة فى تحريك محول السرعة واخطر قائده بهذا . ولما حاول ذلك مرة اخرى بناء على امره ، لم يوفق فى محاولته بالرغم مما بذله من مجهود . مما دعاه الى ان يقترح على الكابتن العودة الى المطار الذى انطلقوا منه ـ لانهم لا يستطيعون ان يمضوا فى طريقهم بهذا الوضع ـ فاستشاط فيريس غضبا ، وترك مقعده واصدر امره لضابطه الاول باركر ان يتولى عنه قيادة الطائرة ريثما يتحقق بنفسه من اسباب هذا الخلل .

وفى حذق المجرب الخبير ، استطاع فيريس اخيرا ان يحرك محول السرعة ـ ونظر الى المهندس متهكما وهو يقول :

ـ او يجب ان اتولى بنفسى امر كل شىء فى الطائرة ؟.

وعاد الكابتن الى مقعده قائلا :

ـ والآن الى برمودا !.

ولكن المهندس اصر على ان الجهاز الهيدروليكى بحـــاجة الى الفحص لانه لا يطمئن اليه . وبمجرد ان هبطت الطائرة بهم بمطــار برمودا ، تحدث الى مهندس الصيانة بذلك. فلما الحوا فى ضرورة موافقة الكابتن على عملية الفحص توجه الى فيربس ليقنعه بضرورة اجراء هذا الفحص من باب الاحتياط ، فعارضه فى رايه غير مقتنع بضرورة هذا الاجراء علاوة على ما فيه من تاخير قيامهم .

ـ ومع ذلك فلازلت غير مطمئن الى سلامة اجهزة ضغط الهواء ، ومهما يكن من امر ، فاما ان يظهر الفحص صدق ظنى ـ واما ان يظهر العكس . وأولى بنا ثم أولى ان . .

فرفع الكابتن كتفيه مستهزئا وهو يقول :

ـ اهكذا بكل بساطة . فحص وتأخير ثم لا شيء !.

***

قال ميشيل ليمنج لزوجته ميلان عند عودته لمنزله :

ـ هكذا ترين اننى اعود دائما فى المواعيد المحددة لى بجدول التوقيت .

ـ هذا هو المفروض ـ اليس كذلك ؟.

ـ ولكن كيلستون تخلف فى الآزور لسوء الأحوال الجوية التى كان يمكن أن اتخذها ذريعة لتخلفى . ولكن لهفتى على لقـائك هى التى دفعتنى للمخاطرة بالطيران .

ووجد انها غير قانعة بهذا غير راضية . انها تريد منه ان ينقطع لها كغيره ممن لايعملون بالطيران . ورأى انه من الخـير له ان يلوذ بالصمت ، لانه ان لم يفعل ذلك لقضى عطلته فى تلك المناقشـــات البيزنطية التى لا جدوى منها .

ووصل كيلستون الى مطار لندن بعد ليمنج بعشر ساعات . ولما توجه الى غرفة العمليات كالمعتاد ، اخطر بان مستر فينش يرغب فى مقابلته ، بالرغم من أن الساعة كانت قد جاوزت التاسعة مساء

وبادر كيلســتون ، المدير قائلا بمجرد دخوله الى غرفة مكتبه :

ـ اظن انك اردت مقابلتى بشأن توقفى الليلى . لقـــد قدمت تقريرا شاملا فى هذا الموضوع .

وكان فيتش قد أمر بأن يبعث اليه بالتقارير المقـدمه من قائد الطائرة ايزى انكل فورا . وما أن انتهى كيلستون من كلامه . حتى رفع فيتش يده بالتقرير المقدم منه دلالة على انه اطلع على ما به .

وكان بين يديه تقرير آخر مقدم من رادلى يهاجم فيه تصرف كيلستون ويعيب عليه ما يحمل به الشركة من نفقات كانت فى غنى عنها ، بدليل ما كان من تصرف زميليه ليمنج وفيرس . وقيامهما بالطيران فى نفس الليلة التى تخلف فيها ، ومن نفس المطار . وفى نفس الاحوال الجوية التى يتعلل بها كيلستون .

وواجهه فيتش بكل هذه الحقائق . واصر كيلســــتون على وجهة نظره دون تعريض بزميليه وما فى تصرفهما من مخـاطرة . وكان كل ما قاله :

ـ ان لكل رايه وطريقة تقديره للأمور .. وان المسئولية لن يتحملها غيره فى حالة وقوع مالاتحمد عقباه . وان ارواح من معه بالطائرة امانة فى عنقه . وان الشركة مهمـا انفقت فى مقـابل تخلفه ، فانها تنفق قطرة من بحر بالنسـبة لما تتعرض له من خسارة مادية وادبية فى حالة وقوع كارثة ، وان الاداريين الجالسـين الى مكاتبهم بين اربعة جدران ، لا يمكن ان يحكموا من مكانهم هذا على الظروف التى يقدرها الطيار الذى يعيش فيها .

فقال له مستر فيتش ضائقا بما يسمع :

ـ ولكنك الطيار الوحيد من بين طيارى الشركة الذى تكـرر منه هذا التصرف ؟!

ـ ليس لدى ما اقوله بعد كل ما بينته لك .

وراى فيتش انه قد آن الأوان ليصارحه بدخيلة نفسه ويواجهه بأمر علاقته الغرامية بتلك المرأة . فقال له :

ـ لقد نمى الى علمى بعض ما يقال عن ...

وتوقف الرجل باحثا عن انسب تعبير يصوغ فيه ما يريد ان يقوله . ولكن كيلستون جنبه هذا العناء عندما قال له :

ـ اعتقد انك تعنى .. كارينا .

ـ انا لا أعرف عن اسمها شيئا . كل ما اعرفه انها تقيم بجزر الآزور .

فاستشاط كيلستون غضبا وانفجر قائلا :

ـ وهي السبب فى محاولتى تلمس الاعذار للتخلف فيها ...

ـ وهل هناك شك فى ذلك ؟ .

فاستبد الغضب بكيلستون وقال محتدا :

ـ اذن : فانت لا تثق بى كقائد لاحدى طائرات هذا الخط؟ كما انك لا تصدق شيئا مما اقول .

ـ ليس الأمر بهذه الصورة . . وما اظن ان هذا الشك يساورنا، اذا كان التصرف فى مكان آخر غير الآزور .

فنهض كيلستون عن مقعده قائلا :

ـ ومادام الأمر كذلك فلا جدوى من اطالة الحديث واستمرار المناقشة .

وفى طريقه الى باب الغرفة سمع فينشى يناديه قائلا :

ـ دقيقة اخرى يا كابتن كيلستون . من واجبى ان اصارحك بأن الشركة لا تنظر بعين الارتياح الى هذا التخلف بمطار سانتا انا .. وحيث انك تحرص على راحة اللاحين ولا تميل الى الطيران البعيد المدى ؛ فقد يروق لك ان تعمل بخط طيران الهند حيث تقصر مسافات الطيران . وحيث لا يوجد مطار سانتا انا .

وخرج كيلستون دون ان يعقب بشيء على ما سمع . ولم يكن فينشى بحاجة الى اى تعقيب . فقد كان واثقا من ادراك كيلستون لما تضمنه حديثه من معنى ، بحيث لن يلجأ مرة أخرى الى التحايل للتخلف كما فعل من قبل .

* * *

وبعد ثلاثة أيام – توجه كيلستون الى غرفة العمليات بالمطار لاستلام امر التشغيل الخاص بطيرانه الى باناما ثم عرج على مكتب الارصاد الجوية للاطمئنان على حالة الطقس واتضح له أن الجو فى المسافة بين لندن ومدريد مناسب . وانصرف الى غرفة الملاحين حيث التقى بكوكروفت لأول مرة – وعلم منه انه سبق له الطيران مع فيريس وليمنج ثم راجع أسماء أفراد الطاقم المعينين معه فوجد من بينهم باتس الملاح ودوابر ضابط اللاسلكى وكلانى المهندس .

واتجه بعد ذلك الى حيث تقف الطائرة ايزى زيرا بارض المطار . ووجد المهندس يتفقد الطائرة ويتأكد من سلامة معداتها واجهزتها . واستفسر منه كيلستون عن نتيجة فحصه وعلم منه بأن كل شىء على مايرام . فأعاد سؤاله عن حالة أجهزة الضغط . واكد له المهندس أنها بخير بعد ان تردد قليلا مما حدا بكيلستون ان يعيد عليه السؤال ليزداد اطمئنانا .

وفى تمام الساعة التاسعة صباحا : انطلقت الطائرة ايزى زيرا بسبعة واربعين راكبا فى طريقها الى مدريد .

الجزء السابع

بداية ربع الدائرة
الشمالى ـ الغربى
١٠ يناير ـ ١٦ مارس

ـ ١ ـ

وما ان استقرت الطائرة على متن الهواء ، حتى ترك كيلستون أمر قيادتها للضابط الاول كوكروفت لأنه كان يريد ان يختبره ويتحقق من كفاءته .

وبعد قليل من مراقبته له،تبين كيلستون ان الرجل بحاجة الى الكثير من الخبرة والممارسة العملية.وانه لا يمكن بحال ما ان يترك له كلية امر قيادة الطائرة دون اشراف وتوجيه منه.

وقد كان ما توقعه كيلستون عند قيام الطائرة من مطار مدريد، من قلة خبرة كوكروفت وتعجله تحريك محول السرعة قبل ان تأخذ المحركات أهبتها الكاملة للانطلاق ، مما كاد أن يهوى بالطائرة على أرض المطار . لولا تدارك كيلستون ذلك فى آخر لحظة .

وبعد ان اعتدلت الطائرة فى مسارها . التفت الكابتن الى مساعده قائلا بصوت منخفض حتى لا يسمعه احد :

ـ لماذا فعلت ذلك بحق السماء ؟.

ـ توقعت انك ستصدر لى الأمر بهذا .

ـ لا تتوقع شيئا فى عملك هذا ، يجب عليك ان تنتظر وتصغى جيدا لما يصدر اليك من اوامر .

ـ اعتذر يا سيدى عما بدر منى من خطأ غير متعمد .

ولاحظ كيلستون فيما بعد ان كوكروفت صدع بما امر به وذلك فى الطريق الى لشبونة ومنها الى الآزور. وان الرجل لا ينقصه الا الخبرة والتوجيه . فقال له مشجعا :

ـ انك بحاجة فعلا الى الممارسة العملية . وسأمكنك من ذلك فى هذه الرحلة .

وترك كيلستون لضابطه الأول الهبوط بالطائرة فى مطار سانتا انا دون ان تغفل عينه عن مراقبته . وقام الضابط الأول بذلك دون أى خطأ منه أو حتى الشروع فيه .

ونظر كيلستون من النافذة التى الى جانبه ليرى كارينا فى انتظاره عند الباب الرئيسى لمبنى المطار .

واطمأن رادلى من مكتب الأرصاد على حالة الطقس وتأكد من ان كيلستون لن يجد فى تلك البيانات ما يتذرع به لتأخير جديد .

وما ان وقع بصر كارينا على كيلستون حتى هرعت اليه . فاحتواها بين ذراعيه وضمها الى صدره قائلا :

ـ ها قد حضرت اليك على عجل .

ثم تأبط ذراعها وخرج بها من مبنى المطار الى الطريق الخالى المؤدى الى بونتاد لجارا ، وراحا يذرعان الطريق جيئة وذهابا فى خطوات متئدة متمهلة ، بينما كانا يتحدثان حديثا خافتا هامسا . وكان مستر رادلى يتبعهما بنظراته حينا ويراجع ساعته حينا آخر واخيرا خرج اليهما من الباب الخلفى مناديا :

ـ كابتن كيلستون .

فاقبلا عليه معا وساله كيلستون :

ـ هل كل شيء معد ؟،

فأجابه رادلى متجاهلا وجود الفتاة !

ـ اجل . أمر السفر معد لتوقيعك ـ وسيكون الركاب فى مقاعدهم بعد خمس دقائق .

فدخلا معا الى مكتب مدير المحطة حيث وقع نيلسون امر السفر ثم التفت الى كارينا قائلا

ـ ها قد مر الوقت سريعا ؟.

ـ اعتن بنفسك يا مارك . الست متعبا ؟.

ـ كلا . وارى ان الطقس معتدل والرياح مواتية .

ـ هل سيطول غيابك ؟ متى سأراك ثانية ؟.

ـ بعد احد عشر يوما وساعتين.

ومشت معه على مهل ، حتى توقفا عند سلم الطائرة يراقبان الركاب وهم يصعدون اليه ذرافات ووحدانا . ثم قال لها عندما حان وقت الرحيل : لقد آن الاوان . والى لقاء قريب ؛ فقالت له وهى تدفن وجهها فى صدره :

ـ لو تمر الأيام والساعات كما مرت بنا هذه الساعة

ثم رفعت اليه وجهها ولم تخف الابتسامة ما فيه من اسى ، فقبلها قائلا :

ـ الى حين نلتقى .

ثم ابتعد عنها وما ان هم بالصعود الى الطائرة حتى سمعها تناديه فعاد اليها :

ـ نعم يا كارينا ؟.

ـ مارك .

ثم امسكت عن الكلام وراحت تنظر الى الجبال البعيدة وقد تخيل اليها أنها تقترب منها وتطبق على المطار . وشعرت بشيء

يدفعها لان تقول له « مارك ... لا تسافر » ولكنها أمسكت وقالت له ما يجب ان يقال فى هذه الاحوال :

ـ اتمنى لك رحلة موفقة !.

فابتسم واودعها قبلة اخرى قبل ان يرتقى سلم الطائرة. وقبل ان يوصد باب الطائرة ، لوح لها بيده مودعا .

ووقفت حيث كانت ، تتأمل الطائرة وهى فى اللمسات الاخيرة قبل انطلاقها . ورات مارك جالسا على مقعد القيادة بجانب نافذة القمرة . ولكنها كانت تشعر فى الوقت نفسه بأنها كمن أقتطع من نفسه شيئا . وسمعت ازيز المحركات وبدات الطائرة تتحرك على مهل صوب الممر وكأنها عالم قد اقتطع من الكون بعيدا . ثم بدأت فى الارتفاع وهى تصغر شيئا فشيئا حتى انضمت بانوارها الى مجموعة النجوم فى السماء ، وبعدها اختفت تماما عن عينى كارينا ـ انعدم وجودها بالنسبة للحقيقة الصغرى ـ حقيقة نفسها . واصبحت فى عالم آخر ، فى عالم الحقيقة الكبرى . موجوده بكل من فيها .

❋ ❋ ❋

كان جوميز هو ضابط العمليات المنوب بالمطار فى تلك الليلة ، وكان يتتبع من حين لآخر الاشارات التى تصل اليه من باتس ضابط الأرصاد بالطائرة ايزى زيرا ـ ويحدد موقعها على الخريطة الموجودة امامه ـ ولم يكن بالخط الا هذه الطائرة التى تشق طريقها عبر الاطلنطى الى برمودا،وطائرة لبمنج التى غادرت مطار لندن منذ لحظات .

واستمر ارسال الاشارات بتحديد اتجاه الرياح وسرعتها من الطائرة ايزى زيرا . وجلس جوميز يقطع الوقت فى القراءة وفى التدخين . ولاحظ أنه لم يتلق اية اشارات فى الساعتين الاخيرتين . فاتصل بمحطة الراديو ليستفسر عن ورود اية رسائل ، فتلقى الرد بالنفى . وظل الاتصال منقطعا حتى الساعة الخامسة . ومع ذلك فان الطائرة ايزى زيرا يجب ان تكون فى هذه الساعة فى دائرة

اختصاص برمودا وتحت اشرافها . وقام الى رسمه البياني فوجد ان آخر موقع حدده للطـــائرة كان عند الدرجة ٤٣ غربا ، اى فى منتصف المسافة تقريبا . فدار راسه واطرق به مفكرا .. وبعد قليل اتصلت به برمودا تستفسر عن موقع الطائرة ايزى زبرا .. فأجاب بأن آخر موقع لها محدد منذ ثلاث ساعات ونصف ، وعلم منهم بأن الأحوال الجوية ليست على ما يرام فوق الاطلنطى .

واعادت برمودا الاتصال به بعد الفجر تسأل وتستفسر . وظل الحال على هذا المنوال حتى قاربت الساعة الثامنة . وهى الساعة التى يجب أن تكون فيها الطائرة على مقــربة من برمودا ان لم تكن على مشارفها . وساورت الشكوك جوميز . ثم عاد يطمئن نفســه بأن الطائرة ربما تكون قد تأخرت بفعل اتجاه الرياح المضادة كمـا يحدث غالبا . ولكن .. ترى بماذا يعلل انقطاع اتصـــالها به او ببرمودا ؟.

وبعد ان جاوزت الساعة التاسعة ، وردت اشارة من برمودا بان الاتصال بالطائرة ايزى زبرا لم يزل متعذرا . واطلع مستر رادلى مدير المحطة على هذه الاشارة وفوجىء بهاواسقط فى يده.واتصل جوميز ببرج المراقبة لاطلاق دوريات الاستطلاع والاغاثة على طول الخط من الآزور الى برمودا .

وحتى الساعة الواحدة بعد الظـــهر ، كانت برمودا عاجزة عن الاتصال بالطائرة . وهذا يعنى فى الوقت نفسه نفــــاذ الوقود بالطائرة ايزى زبرا . كما انه لا سبيل امامها للهبوط فى اى مكان قريب اذا اضطرت لذلك . وقامت طائرات الاغاثة والاستطلاع من برمودا ومن لاجنز تبحث عن الطائرة المفقودة أو اى اثر لها . كمـا انطلقت بعض السفن للاشتراك فى هذا البحث،وغير البعض الآخر اتجاهه فى المنطقة القريبة من خط الطول ٤٣ مئوية غربا . وهكذا تضافرت جميع الجهود للبحث عن الطائرة ايزى زبرا وانقاذ ركابها السبعة والاربعين .

وسمع ليمنج بهذه الانباء او بطرف منها وهو فى طريقه بطائرته

ايزى فوكس من لندن الى مدريد الى لشبونه الى سانتا انا بجزر الازور . وعندما هبط بالمطار الاخير وجد المحطة فى ذعر وهلع.

وقابله مستر رادلى وهو يضرب كفا بكف من فرط دهشته ، وسرد على مسامعه القصة بحذافيرها .

واستفسر ليمنج منه عن اسماء أفراد طاقم الطائرة المفقودة ؟ فتلا عليه اسماء افراد الطاقم :

ـ مارك كيلستون،كوكروفت ، باتس ، درايو،والمهندس كلانى.

ثم سأله :

ـ والركاب ؟ .

ـ سبعة واربعون يا كابتن .

ـ وهل قمت باللازم للبحث عن الطائرة وانقاذها ؟.

ـ اجل . قمنا بكل ما يمكن .

ـ مهما يكن من أمر هذه الجهود ، فهناك طائرة يمكن ان تشترك فى البحث .

ـ اية طائرة يا كابتن ؟.

ـ ايزى فوكس . الطائرة التى وصلت بها .

ثم التفت الى مساعده الملاح قائلا

ـ اعد خطة الطيران بحيث تكون قريبة من سطح البحر . اننا سنتولى البحث عن الطائرة فى طريقنا الى برمودا . يجب ان نقوم بواجبنا وارجو ان نوفق. يجب على الجميع أن يشتركوا فى ذلك.

ـ اننا لم نقصر فيما يجب ان يتخذ من اجراء .

ـ هل كانت الطائرة على ما يرام قبل رحيلها ؟.

ـ على اتم ما يرام .

وجلس ليمنج مطرقا ، وران عليهما صمت مطبق ، وبعد قليل وردت اشارة عاجلة من لندن الى جميع المحطات نصها الآتى :

ـ جميع طائرات الماربورد تهبط بلا تعيين ولا تتحرك من مكانها .

وهكذا نجح مارك كيلستون أخيرا فى حمل فيتش على ان يتحرك ويعمل .

***

وأقبل رادلى فى صباح اليوم التالى على ليمنج بفندق كاربراس متأبطا صحيفة المساء الصادرة فى لندن ، والتى حملتها اليه احدى طائرات الخط القادمة من انجلترا . وقدم الصحيفة الى ليمنج يائسا متجهم الوجه . وساله هذا عن آخر أنباء الطائرة وعلم منه أن أثرها لم يزل مفقودا .

واطلع ليمنج على الصحيفة ، فوجد ان الصحافة البريطانية قد احلت هذا الموضوع فى المكان الأول من صفحاتها ؛ وان اسم الطائرة ايزى زبرا قد برز فى عناوينها العريضة . وانها ضمنت مقالاتها الاشارة الى الحريق الذى وقع بهذه الطائرة منذ شهرين ، والى حادث الباخرة ساتنا لوشندا وتصرف كيلستون بشأنها ، ثم عرجت الى كارثة جبل طارق واختفاء الطائرة الذى مضى عليه اكثر من عامين .

ولما لاحظ ما عليه رادلى من اضطراب وقلق قال له :

ـ وما هى علاقتك بكل هذا ؟ وما هو السبب فى هذا الجزع الذى اراك فريسة له ؟ هل قصرت فى شىء ؟.

وانهى ليمنج حديثه مع الرجل المضطرب الأعصاب باعتذاره له بأن لديه مهمة عاجلة يود ان يقوم بها بعد قليل . اذ انه كان قد قرر بينه وبين نفسه ،أنه يحسن به ان يخطر كارينا بهذه التطورات الأخيرة برفق قبل ان تفاجأ بها من غيره .

والى مكتب اوليفاريز الذى كانت تعمل به ، اتجه ليمنج بعد أن ارتدى ملابسه. وهناك قابلة اوليفاريز مرحبا بعد أن قدم ليمنج له نفسه . وعلم منه ان كارينا متغيبه من اليوم السابق . فصارحه ليمنج بسبب حضوره. فابدى الرجل اسفه لأنه لا يكن لكيلستون

حسن صنيعه . كما انه ابدى عطفه على كاربنـــا التى سبق ان قاست كثيرا فى حياتها ولم تعرف الســـعادة الا بعـد ان التقت بكيلستون . ونهض الرجل مصطحبا ليمنج معه الى محل ســكنها حيث لم يجداها به . وقاما بالتحرى عنها من جيرانها وعلما انهـا متغيبة من اليوم السابق .

واتجها بعد ذلك الى مكتب اللاسلكى حيث استفسر اوليفاريز عنها من الموظف المختص الذى علم منه بانها كانت موجودة فى اليوم السابق . وانها بعد ان سلمته الرسائل المكلفة بهـا جلست تنتظـر تبليغها لأنهم كانوا مشغولين بموضوع الطائرة ايزى زيرا .. فلما استفسر منه اوليفاريز عما اذا كانت قد ادركت شـيئًا ممـا كان يتحدث به عن الطائرة ، اكد له الموظف ذلك ، ولو انها لم توجه اليه اى سؤال .

فتجهم وجه أوليفاريز وقطب جبينه قائلا لليمنج :

ــ اظن انه يحسن بنا أن نخطر الشرطة .

وقاموا باخطارها فعلا .

ولم يوفقوا فى العثور على اثر لها حتى ساعة متأخرة من الليل، بالرغم من انهم لم يتركوا مكانا الا وبحثوا فيه .

وجلس ليمنج مع أوليفاريز فى غرفة مكتبه ، متعبا مجهـدا مرهق الأعصاب بعد طول هذا البحث المضنى .

وكانا يقطعان الوقت فى تجاذب اطراف الحديث . وعندما عرجا فى حديثهما على موضوع علاقة كيلستون بكارينا ولم يخف ليمنج حكمه على تصرف كيلستون بالذات ، قال له أوليفاريز :

عندما تبلغ من العمر ما بلغته انا ، ستدرك ان احداث الحيـاة هى التى تدفعنا امامها وتجرفنا فى تيارها .

ان الانسان لا يستطيع ان يتحكم فى مصيره ولا فيما يمر به . ان مكاننا من عجلة الحياة ثابت لا يتغير . وهى تدور بنا وتنقلنا من مكان الى مكان . ثم تستقر بنا حينا فى المكان الذى تنتهى دورتها

اليه . وتعود بعد ذلك لتدور بنا وتدور في قوة لا نملك حيالها شيئا . وهل يستطيع احد منا ان يوقف هذه الدورة ؟ هل يجرؤ احد منا على اعتراض سبيلها ؟ كلا . ان مكاننا منها معين معروف وما تقرر لدورتها محدد لا تغيير له .

ولم يعقب ليمنج بشيء . واطبق شفتيه وامسك عن الكلام . فسأله اوليفاريز :

- خبرني . اذا ما كان قد وقع للطائرة حادث ما ، فمتى يكون ذلك ، ولو على وجه التقريب ؟

- لقد تلقت المحطة آخر رسالة منها حوالى الثالثة صباحا . ولكن هذا لا يمنع من أنها واصلت طيرانها بعد ذلك بضع ساعات أخرى .

- وهل هناك من امل فى الاهتداء اليها ؟

- لا أعتقد أن هناك اى امل بعد كل هذه الساعات التى مرت منذ بدا البحث عنها .

فنهض اوليفاريز عن مقعده واتجه الى النافذة يحدق النظر فى الميناء . وسمعه ليمنج يقول فى صوت حالم :

- لقد عرفت كل شيء . لم يكن بها حاجة لتسأل وتستقصي . لئن كان قد مات فقد عرفت ذلك فى حينه .

- كيف . . ان هذا . .

- كلا . . لم يكن ما قلت عجبا . انها امراة غير عادية .

- لقد التقيت بها وتحدثت اليها حوالى نصف الساعة ولم تكن غير امراة عادية .

- اما انا فعاشرتها خمس سنوات طوالا .

وكان الرجل لازال محدقا النظر فى مياه المحيط القائمة .

- هل يمكن ان يكون قد سقط فى المحيط ؟

- اجل . وهل يوجد غير المحيط يسقط فيه .

ـ ان هذا المحيط بالذات . هذا الاطلنطى الذى يضرب بامواجه تلك الشواطىء الصخرية . سيكون مقرهما الاخير . قبر واحد يضم جثتيهما وان بعدت الشقة بينهما ■

- ٢ -

دعى كل من له اتصال بالطائرة ايزى زيرا ، سواء اكان من الفنيين او من الاداريين او من الطيارين ، لحضور مجلس التحقيق الذى تشكل على اثر الزوبعة التى اثارها اختفاء هذه الطائرة وظهر صداه فى الصحف وفى مجلس العموم .

وتوالت الاسئلة ، واحتدمت المناقشات، وقرر الخبراء الفنيون إن تصميم جهاز الضغط فاسد من أساسه ، وان كان يؤدى عمله بطريقة مرضية ، بدليل عدم وقوع حوادث من قبل بسببه . وان حالة الجهاز بالطائرة المنكوبة عند مغادرتها مطار سانتا انا كانت عادية .

ثم جاء دور موظفى الارصاد فقرروا بان الأحوال الجوية كانت مناسبة ومطابقة لتقديراتهم ، بدليل انه كان هناك من الطائرات ما وافق طيرانها نفس الطقس الذى كانت تطير فيه ايزى زيرا .

وبعد ان انتهت لجنة التحقيق من استجواب الخبراء الفنيين وموظفى الارصاد أعلن رئيسها انتهاء التحقيق فى ذلك اليوم وتأجيله لليوم التالى لاستيفائه بفحص مؤهلات الملاحين .

وكان ضابط التدريب أول من استدعى لسؤاله فى صباح اليوم التالى . وشهد فى حق كيلستون بانه طيار عالى المستوى . وتوالى استعراض حالة سائر افراد الطاقم حتى جاء دور كوكروفت . وقرر ضابط التدريب بان جميع الضباط المساعدين غير مدربين بما يقيه الكفاية . وان كوكروفت كان يؤدى عمله باخلاص وكفاية . وانه قام بثلاث رحلات ولم يقدم الطيارون ضده اية شكوى . ولما سئل ليمنج قرر بانه كانت تنقصه الدراية المستخلصة من الممارسة

العملية . ولما ضيق المدعى عليه الخناق ، مذكرا له بأنه ادى اليمين القانونية ، اضطر انه يشير الى ما كان من كوكروفت عندما كاد أن يهبط بالطائرة فى شارع كنجستون على انه ممر الهبوط بالمطار .
فعاد المدعى الذى لا يرحم ليضيق عليه الخناق مرة اخرى ويسأله عن سبب عدم تقديمه تقريرا بذلك فقال ليمنج مجيبا :

ـ أردت ان اعطيه فرصة اخرى . كلنا يخطىء .

ولما شعر ليمنج بالحرج من كثرة ما وجه اليه من اسئلة وحجج دامغة ، وجد مخرجا فى ان يقرر بأن الضابط الذى عمل معـه فى رحلة واحدة ، عمل مع فيريس فى رحلتين .

ولم يستنفد ليمنج من الزج بفيريس ، الذى لم يكن احسن منه حالا . وتدخل رئيس لجنة التحقيق ليضع حدا لهذه المناقشة باعلان ان اللجنة قد حصلت على ما تريد من معلومات عن كوكروفت .
وعاد كل من فيريس وليمنج الى مقعديهما بقاعة الجلسة . وماكاد ليمنج ان يستقر فى مقعده حتى سمع رئيس الجلسة يقول :

ـ اما وقد انتهينا من استعراض حالة افراد الطاقم فلم يبق أمامنا غير بحث موضوع ارهاق الطيارين بالعمل . هل يتفضل كابتن ليمنج بالاقتراب مرة اخرى .

وناقشه رئيس اللجنة بنفسه فى اقتراحه الخاص بالغاء المحطة الليلية . وطالت المناقشة ، واحتد رئيس اللجنة ، وكاد ليمنج ان يفقد اعصابه . ولكنه تمالك نفسه اخيرا وسيطر عليها حتى انتهت المناقشة .

وسئل مستر رادلى فى موضوع الغاء هذه الاستراحة .. وناقشه رئيس اللجنة وضيق عليه الخناق ، لانه شعر بانه كان متحاملا على كيلستون .

واستمر انعقاد الجلسة حتى المساء ، وكان آخر من نوقش هو مستر فيتش . وسئل عما اذا كان جميع الطيارين قد وافقوا على اقتراح الغاء المحطة الليلية . فقرر بأن كيلستون كان هو المعارض

الوحيد لالغاء المحطة . وانه طالما وجه نظره الى حالة الطائرات والملاحين وانه بدأ يدرك أن كيلستون كان على حق . ولكنها التعليمات والروتين .

ولم يشر بشيء الى علاقة كيلستون بكارينا . فللموت حرمته التي يحافظ عليها المجتمع ويرعاها ، وبالذات اذا لم يكن هناك من نتيجة لاثارة مثل هذه الأمور .

وأعلن رفع الجلسة لفترة يستعرض فيها رئيسها قراره النهائي . وترك رئيس الجلسة العضوين يتناقشان واستغرق هو في استعراض ما قرره مستر فينش بصدق عن تحذير كيلستون له غير مرة وتوجيه نظره لحقيقة الأمر .

وراح الرجل يستعرض أقوال رادلي وأقوال ليمنج ، وانتهى الى أن هناك من الحلقات المفقودة مالا يمكن للتحقيق ان يهتدي اليها ، ومن الثغرات ما يظل مطالبا ضمير المحقق بأن يسد فراغه . ان تحامل رادلي على كيلستون في تقاريره عنه وعن توقفه بالآزور يخفي وراءه أمرا آخر غير ماظهر في التحقيق . وليمنج الذي لم يقدم تقريرا عن كوكروفت وعما ارتكبه من خطأ جسيم ، وزعمه انه اراد بهذا ان يعطيه فرصة أخرى ، يخفي بذلك سببا آخر لا يعلمه الا هو . وتلك الثغرات والحلقات المفقودة هي التي أودت بحياة خمسين راكبا كانت تقلهم الطائرة ايزي ذيرا .

والتفت رئيس الجلسة الى العضوين ، وبحث معهما مايجب أن يصدر من قرار . ولم تستغرق المداولة وقتا طويلا ، واتفق الجميع على صيغة القرار . وقد بداه رئيس الجلسة بتلخيص لظروف الحادث وما احاط به من ملابسات وشهادة الشهود الاستشاريين ، وذلك لانه لايمكن بحال ما في حالة اختفاء الطائرات وعدم ظهور اي اثر لها ، البت بصفة قاطعة في اسباب وقوع الكارثة . فليس هناك من شاهد عيان .

وقرر بانه يرى مما تجمع لديه من ادلة ، أن الحادث قد يرجع الى احد هذه الأسباب التي ترددت بالجلسة أو اليها مجتمعة :

١ ـ الخلل في بعض أجهزة الطائرة .

٢ ـ عدم كفاية الطيار الاول « كوكروفت » .

٣ ـ ارهاق الطيارين بالغاء التوقف الليلى .

ثم عرج رئيس الجلسة فى تلخيصه الى ماتبين من قصور فى بعض الأجراءات . هذا القصور الذى يجب على المختصين العمل على تلافيه بسرعة :

اولا : نظام التقارير التى تقدم عقب كل رحلة عن حالة الطائرة وحالة ملاحيها ، يجب أن يكون اجباريا معطيا صورة صحيحة لكل تلك الحالات .

ثانيا : انه لا معنى للأوامر المنظمة للخدمة بالخط اذا ما كانت بشكل يمكن للطيارين ان يفسروه كما شاءوا وكما يحلو لهم .

ثانيا : انه لا معنى للأوامر المنظمة للخدمة بالخط اذا ما كانت ستة شهور ، شأنهم فى ذلك شأن الطيارين تماما .

واخيرا . .

ان يوما بأكمله فى طيران متواصل ، يعتبر زمنا طويلا مرهقا للطيارين بصفـــة خاصة ولجميع أفراد الطاقم بصفة عامة .

وختم رئيس الجلسة تلخيصه بالاشادة بكيلستون وببعد نظره كطيار محنك مجرب . مع لفت نظر الشركة لما ورد فى التحقيق من تعمد بعض المسئولين معارضة هذا الرجل وتجاهل امره . وما اتضح من تعمد البعض الآخر تزييف الوقائع عليه ومهاجمته . ولايعتبر هذا التوجيه القاء بتبعه الحادث على كاهل احد من موظفى الشركة بالذات . بل هو توجيه لاصلاح ادارى يقضى على هذه العيــــوب والهنــات .

ونهض رئيس الجلسة عن مقعده بعد ان اودع أوراقه حقيبته الجلدية ، معلنا بهذا انتهاء الجلسة .

-٣٠-

ووضع تقرير اللجنة موضع الاعتبار ، قبل أن تتخذ منه الصحف مادة لمهاجمة المسئولين . واصدر مجلس ادارة الشركة امره بتنحية كل من مستر فيتش ومستر رادلى عن وظيفتيهما الرئيسيتين . وتسلم كل من فيريس وليمنج انذارا بضرورة احترام اوامر الشركة وعدم الاخلال بها لأى سبب من الاسباب . وانه فى حالة عدم تنفيذ أوامر الشركة بكل دقة سينظر فى أمرهما بشدة .

اما مارك كيلستون ، فكان هو الشخص الوحيد الذى خرج من هذا التحقيق نظيف الاسم لاتشوب تصرفه شائبة . ورأت الشركة ان تكرمه فى شخص زوجته وابنه بتوفير حياة كريمة لهما . وضاعفت معاشه ومبلغ تامينه حتى اصبحت حالتهما المالية خيرا مما كانت ابان حياته . ورأت فيرونيكا أنه يحسن بها ان ترتدى ثياب الحداد محافظة على المظاهر والتقاليد .

وبعد بضعة اسابيع ، ولم تكن قد خلعت ثياب الحداد بعد ، فتحت باب مسكنها ساعة تناول الشاى ، وقالت لزميلها مصمم الأزياء الذى سبق ان انتظرته طويلا فيما قبل :

ـ ايفور ! كيف كان ذلك ؟ انك تحضر مبكرا فى هذه المرة !.

ان كل شيء تغير عما كان عليه خلال الأربعة شهور الماضية . وها هى الدورة تتم دورتها وتسير قدما . وهذه هى الرياح العكسية تتم هى الاخرى دورتها عارمة قوية حول قلب العاصفة الهادىء الساكن . وهناك فى مركز الوسط منها ، ميشيل ليمنج ، الذى يتبين ان كل شيء قد ظل على حاله سليما لم يمسسه سوء بالنسبة له .

فعندما كان يدخل غرفة الكابتن المخصصة له بفندق كاريراس ، فى اول رحلة يقوم بها بعد هذه الاحداث ، كان يشعر بالحمد

والشكر ؛ لأنه يستطيع أن يخلد للراحة والعزلة التى كان ينشدها منذ أمد بعيد ، حتى يريح ذهنه المكدود وعقله المضطرب بما يشغله ويقض عليه مضجعه .

وتعمد أن يتخلف عن موعد العشاء . وجلس يقطع الوقت فى قراءة كتاب اتى به معه ليشغل به وقته فى ساعات الفراغ خلال رحلته . وما أن وافت الساعة التاسعة حتى اشاع هدوء الغرفة فى نفسه السكينة والاطمئنان وارتاح بالا . ومنى نفسه بنوم طويل عميق يعيد لنفسه حالتها الطبيعية من الأمن والاستقرار . فنهض واستلقى على فراشه الوثير ، واستسلم بعد قليل لنوم عميق .

واستيقظ من نومه فى منتصف الليل على صوت جلبة وضوضاء شديدة . وجلس فى فراشه يتساءل ؛ بعد أن أصاخ السمع ولم يتبين الا السكون والهدوء ، عن السر فيما سمعه من ضوضاء اخرجته من نومه العميق . ثم سمع همسا يدور بين شخصين . بين رجل وامرأة . همسا تختلط به بعض الضحكات الناعمة . ثم كان صمت وسكون ؛ أعقبه صوت ضحكات عالية . ثم خيم السكون على المكان . وبعد ذلك بدات الضوضاء تعود من جديد وتشتد بجوار المدفأة . وخيل اليه أن مصدر كل مايسمعه من أصوات هو الحجرة المجاورة . وارهف اذنيه ليتبين حقيقة الامر ، فسمع الضحكات وود لو يشارك القوم مرحهم وسمرهم . ثم بدات الأصوات تخفت شيئا فشيئا حتى لم يعد يسمع منها شيئا واستسلم النوم مرة أخرى .

واستيقظ بعد ساعة ليسمع صوت امراة رقيق يردد اغنية حالمة وعادت الأصوات الصاخبة تملأ عليه سمعه من جديد . فنهض من فراشه ، وراح يدق على الجدار بيده حتى ينبه العابثين الى انهم يجب أن يهدأوا ويسكنوا . ولما لم يجد من ذلك جدوى ، خرج الى الدهليز يدق الباب المجاور له بعنف . الا أن أحدا ما لم يجبه أو يخرج اليه . فامسك بمقبض الباب يحاول فتحه ، فاستجاب له الباب الذى لم يكن مغلقا . ولما دخل الغرفة وجدها مظلمة لا حياة فيها .

وقفل راجعا الى غرفته محاولا ان يقنع نفسه بان كل ذلك لم يكن الا محض خيال صوره له عقله المضطرب المشوش وذهنه المتعب المجهد . وجلس على احد المقاعد واسترخى ليريح اعصابه المشدودة. ورأى فيما بينه وبين نفسه ، ان كل هذا الذى سمعه لم يكن الا نتيجة لما تعرض له من ارهاق وجهد وانشغال بال . وبعد ان تناول قرصين من الاسبيرين ، نهض عن مقعده متجها الى فراشه . وفى منتصف المسافة بينهما ، طرق سمعه نغم شعبى تشيكى يترنم به صوت مارك الذى يعرفه وسمعه من قبل يردد هذا اللحن ويصارحه بأنه تلقاه عنها .. عن كارينا ، التى عاد يسمع ضحكاتها الناعمة ترن فى اذنيـــه .

فنادى بصوت خافت . « مارك .. مارك » ولم يجبه احد . وتلفت حواليه فلم يجد احدا ، ثم واصل خطواته الى فراشه وجلس مستغرقا فى التفكير . وفجأة اتضح له السر فيما يقض عليه مضجعه ويؤرق ليله ويمضه الما . وظهرت امامه الحقيقة قاسية لا ترحم . ان مارك قد استطاع ان يحل جميع مشاكله فجأة . وهذا الرجل الذى تحدى المجتمع وتقاليده ، قد ادى بشرف وجدارة ماكان يطالبه به من ديون له عليه . لقد كفر عن ذنوبه وخطاياه . فلما ادى هـــذا الدين اداء سخيا غير منقوص ، استعاد اسمه سليما لاتشوبه شائبة وكان هو الشخص الوحيد الذى لم يكتنفه ظلام التحقيق وما دار فيه مما كشف عن نقائص غيره وعيوبهم . اما هو فقد اشاد رئيس اللجنة بذكره وبكفاءته وببعد نظره . ونالت اسرته من بعده ما يحقق لها حياة كريمة وعيشا رغدا . مامن احد الآن ليجرؤ على ان ينطق بحرف ضده او يتقول عليه بشىء . فقد وضع الموت حدا لجميـــع مشاكله وسدد عنه ديونه للمجتمع وحفظ لاسمه بريقه وبهاءه ولأسرته قوام حياتها . اما هو ــ ليمنج ــ فقد خرج من التحقيق مقصرا لم يؤد واجبه على الوجه الأكمل .

ان مجموع ماقضاه مارك كيلستون من ايام وساعات ســـعيدة هانئة ، لايتجاوز عدا العشرة ايام ، شاركته فيها كارينا التى لم تعرف الهناء من قبل . وهاهما يدفعان حياتهما ثمنا لتلك اللحظات القليلة

من السعادة والهناء . وذلك لانهما بالرغم من ذلك كانا قد تجاهلا تقاليد المجتمع وعاداته ولم يحترما شرائع السماء وقوانين الارض ، وتعرضا للوم اللائمين ونقدهم فى سبيل ساعات قليلة من النعيم المختلس . تلك الساعات التى قطعت عليها ايام العمر والحياة ... وحرمهما الموت معا من مواصلة ما خيل اليهما انه نعيم مقيم .

وفى الموت تكفير عن الخطايا ورد لاعتبار البشر ، لانه ينقلهم من الارض الى السماء ، ليصبحوا ودیعة بين يدى خالقهم ، الذى يتولى هو امرهم . ولا يجمل بنا أن نتدخل فى شئونه او فى حكمه . دع الخلق للخالق .

« تمت »

الدار القومية للطباعة والنشر

الثقافة والارشاد القومى

مركز الإشعاع الثقافى
فى العالم العربى
من القاهرة

مكتبات الدار

نيويورك

لندن

الجزائر

بيروت

طرابلس

بغداد

الخرطوم

الاسكندرية

القاهرة

يصدر عنها

روايات عالمية | الكتاب الماسى

مذاهب وشخصيات | من الشرق والغرب | كتب سياسية

كتب قومية | فى المسرح ال...

اخترنا للجندى | اخترنا للطا...

دراسات اشتراكية | رسائل جامع...

مجلة الإذاعة والتليفزيون

مجلة بناء الوطن

ARAB OBSERVER

L'OBSERVATEUR ARABE

The Scribe ARAB REVIEW



El Escriba REVISTA ARABE

Der Schreiber